

الأساليب والإطلاقات العربية

التي

ذكرها العلامة الشنقيطي

محمد الأمين بن محمد المختار الجكني

في تفسيره أضواء البيان

جمع وترتيب

أبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي

عفا الله عنه



الطبعة الأولى

1432 هـ/ 2011 م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

رقم الإيداع بالمكتبة الشاملة ٢٠١١/٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾،
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾،

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾،
أما بعد،..

فمنذ زمن، وقضية المجاز تستحوذ على قدر غير قليل من تفكيري، لما لها من تعلق بمسائل شتى وفنون متعددة، وخاصة صفات الباري - سبحانه وتعالى -، فقد توصل قوم من خلال القول بوقوع المجاز في اللغة إلى نفي صفات الكمال الثابتة لله - عزوجل -.

ولقد كانت تعجبي طريقة العلامة الشنقيطي - رحمه الله - في الرد على القائلين بالمجاز في رسالته "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز" وذلك ببيان أن كل ما يسميه القائلون بالمجاز مجازاً فهو - عند من يقول بنفي المجاز - أسلوب من أساليب اللغة العربية، وأنها حقائق تكلم بها العرب، ولا يجوز نفيها. إلا أن رسالته هذه جاءت قصيرة، والأمثلة فيها قليلة، فقد صنفها - رحمه الله - لتكون أمثلتها، وطريقتها مثلاً يحتذى به، ويقاس عليه غيره مما لم يُذكر - فجزاه الله خيراً -.

ولقد منَّ الله - عزوجل - عليَّ بقراءة تفسيره "أضواء البيان" فرأيت فيه أنه - رحمه الله - قد عالج هذه القضية بأوسع مما في هذه الرسالة، فرحت أجوب بين جنباته، وألتقط من عباراته كل ما قد ذكر عنه أنه من الأساليب العربية، ثم رأيت

أن أضيف إليها ما قال أنه من الإطلاقات العربية، للشبه بينهما، فلما رأيت أنه قد تجمع لديّ كم غير قليل من هذه الأساليب، والإطلاقات قمت بعرضها على من أظن أن لهم دراية أكثر مني بعلم البلاغة، وكنت أستفيد من ملاحظاتهم، فجزاهم الله، على حسن النصيحة، خير الجزاء، فكانت ثمرة ذلك هذه الرسالة النافعة بإذن الله، وسميتها: "تتمة منع جواز المجاز ببيان الأساليب والإطلاقات العربية التي ذكرها العلامة الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني في تفسيره أضواء البيان"، وسوف أقدم بين يديها بمقدمة تبين مقصودها، وتشتمل على: الكلام على المجاز: وبيان أهميته، وتعريف المجاز في الاصطلاح، وأقسامه، وأمثلة على كل قسم، وتاريخ نشوء القول بالمجاز، وأقوال العلماء في المجاز، وأدلتهم، مع المناقشة والترجيح. ثم أبين من كلام العلامة الشنقيطي - رحمه الله - أهمية الأساليب العربية في الرد على القائلين بالمجاز، وأتبع ذلك ببعض الأمثلة حتى يتضح المقصود تمام الاتضاح.

والله - عزوجل - أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وميزان حسنات كل من شارك فيه بنصح، أو مشورة. وأرجو من الله - عزوجل - أن تكون هذه الرسالة باكورة عمل لتجميع مثل هذه الأساليب والإطلاقات من بطون الكتب⁽¹⁾، ومعالجتها على نحو طريقة الشنقيطي في الرد على القائلين بالمجاز؛ لتكون موسوعة شاملة، ومعولاً فعالاً لهم طاعوت التأويل، ونفي الصفات، وأيضاً لفهم كتاب الله، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - على الوجه الصحيح.

١ - وانظر كتاب "سر العربية" للثعالبي، و "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس.

المجاز (١)

قال د. عبد الرحمن السديس:

المطلب الأول: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

تأتي أهمية هذا الموضوع وترجع أسباب اختياره لاعتبارات عدة أهمها:

- ١- أن هذه القضية تعتبر مسألة جوهرية من مسائل اللغة، والألفاظ، لها علاقتها الوطيدة بعدد من العلوم في العقيدة لاسيما في صفات الباري جل وعلا، كما أن لها ارتباطا وثيقا بالأدلة خاصة المصدر الأول من مصادر التشريع "كتاب الله سبحانه"، وقضية هذا شأنها، وتلك محاورها، جديرة بالبحث والدراسة.
- ٢- أن هذه المسألة ليست نظرية صرفة ولفظية بحتة، بل لها آثار عملية كثيرة ويلزم منها لوازم خطيرة، ويترتب عليها أمور شنيعة، بل لقد كانت تكأة لكثير من المخالفين لمذهب السلف في الاعتقاد، بنوا عليها مذاهبهم، وعولوا عليها في استدلالاتهم، فكان لابد من تجليتها وإبانة الحق فيها.
- ٣- أن هذه القضية كانت ولا زالت محل نقاش وإشكال وجدل بين طلاب العلم والباحثين ما بين مثبت وناف ومفصل ومتردد ومتوقف، فكان لابد من وجود بحث حر متجرد يتسم بالعرض والاستدلال والمناقشة الهادفة ومن ثم بيان الراجح على حسب قوة الدليل وصحة التعليل.

المطلب الثاني: تعريف المجاز في الاصطلاح.

تعددت عبارات الأصوليين في تعريف المجاز، وإليك أهمها:

أن المجاز: "ما كان بضم معنى الحقيقة".

ومنها: "أنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له"^(٢).

١ - وقد لخصت في هذه الفقرة كلام د. عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله السديس، في البحث الذي أودعه العدد العشرين من مجلة أم القرى باسم: "المجاز عند الأصوليين بين المجيزين والمانعين"، وقد نقلت عنه لما رأيت أنه قد ألمَّ بعدة جوانب من هذه القضية، وأنه قد سلك الحياد، والموضوعية في مناقشة هذه المسألة، فجزاه الله خيراً.

٢ - وعبر صاحب المعتمد بـ: "ما أفيد به غير ما وضع له" ١١/١ من المعتمد للبصري.

ومن الأصوليين من زاد على هذا الحد قيداً، وهو قولهم "في غير ما وضع له أولاً"، ومنهم من زاد "على وجه يصح" وهو تعريف صاحب الروضة^(١)، وبعضهم زاد "في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة"^(٢).
ومنهم من عبر بقوله: "قول مستعمل بوضع ثان لعلاقة".
وعرفه بعضهم بأنه: "كل اسم أفاد معنى على غير ما وضع له"^(٣).
ونكروا في تعريفه "أنه كل اسم غير ما وقع عليه الاصطلاح على ما وضع له حين التخاطب"^(٤).

ومن خلال عرض هذه التعريفات يترجح لدي أن تعريف صاحب الروضة أرجحها لأنه جامع مانع وهذا واضح لمن تأمله بخلاف غيره فلم يسلم من المناقشات^(٥).

وهذا الترجيح مبني على القول بصحة التقسيم، والله أعلم.

المطلب الثالث: أقسام المجاز، وأمثله.

قسم العلماء المجاز إلى أقسام متعددة، أهمها أربعة هي:
مجاز الأفراد، ومجاز التركيب، والمجاز العقلي، ومجاز النقص والزيادة.

١ - انظر: ص ٦٤ منها.

٢ - وهو حد صاحب جمع الجوامع، انظر: ٣٠٠/١ من حاشية البناني على الجمع وقريب منه حد شارح الكوكب المنير كما في ١٥٤/١ منه.

٣ - وهو تعريف أبي الخطاب صاحب التمهيد كما في ٧٧/١ منه.

٤ - انظر في تعريف المجاز: ٢٠٣/١ من فواتح الرحموت، ١١/١ من المعتمد للبصري، ص ٤٤ من شرح تنقيح الفصول، ص ٢٠ من منتهى الوصول والأمل لابن الحاجب، ١٠٥، ٣٤١/١ من المستصفي، ٣٠٤-٣٠٥/١ من حاشية البناني على جمع الجوامع، ص ١٧٩ من التمهيد للسنوي، ٢٨/١ من الإحكام للآمدي، ١٧٢-١٧٤ من العدة لأبي يعلى، ٧٧/١ من التمهيد لأبي الخطاب، ص ٦٤ من الروضة ١٥٤-١٥٥ من شرح الكوكب المنير، ص ٢١٤ من التعريفات، ص ٢١ من إرشاد الفحول للشوكاني، ص ٤٤٣ من أصول الفقه لشليبي.

٥ - انظر شيئاً منها في: ١١-١٤ من المعتمد، ٢٩/١ من الإحكام للآمدي.

فمجاز الأفراد: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، لعلاقة مع قرينة صارفة عن قصد المعنى الأصلي كإطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع. والتركيب: أن يستعمل كلام مفيد في معنى كلام آخر، لعلاقة بينهما دون نظر إلى المفردات، ومن ذلك جميع الأمثال السائرة، المعروفة عند العرب. والمجاز العقلي: هو ما كان التجوز فيه في الإسناد خاصة، لا في لفظ المسند إليه ولا المسند، كقولك "أنبت الربيع البقل"، فالربيع وإنبات البقل كلاهما مستعمل في حقيقته، والتجوز: إنما هو في إسناد الإنبات إلى الربيع، وهو لله جل وعلا. وأما مجاز النقص والزيادة: فمداره على وجود زيادة، أو نقص يغيران الإعراب، ويمثلون للنقص بقوله تعالى: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ}، والمراد أهل القرية. ويمثلون للزيادة بقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ويقولون إن الكاف زائدة والمراد ليس مثله شيء. وهناك أقسام أخرى كمجاز التقديم والتأخير، وغيره، وليس هذا محل بسطه^(١).

وينبغي أن يعلم أن أقسام المجاز هذه إنما هي عند الذين يرون المجاز في العربية، وفي القرآن، أما الذين لا يرونه فلا يعتبرون ذلك كله، وسيأتي لهذا الأمر تفصيل في صلب البحث عند ذكر الخلاف في المسألة، وقد أتيت بهذه التقسيمات لعلاقتها الوطيدة بالبحث، والله أعلم.

المطلب الرابع: تاريخ نشوء القول بالمجاز.

المستقرئ للجانب التاريخي لظهور المجاز يجد أن العرب لم يعرف عنهم تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز ولم ينكر عنهم التعبير بلفظ المجاز الذي هو قسيم الحقيقة عند أهل الأصول، وإنما هذا اصطلاح حدث بعد القرون المفضلة.

١ - انظر في أقسام المجاز والأمثلة: ٢٠٣/١ من فواتح الرحموت، ص ٤٤ من شرح تنقيح الفصول، ١٤/١ من المعتمد، ٣٤١/١ من المستصفي، ٣٠٩-٣١٧ من حاشية البناني على جمع الجوامع، ١٧٢/١ من العدة، ١٥٦-١٨٠ من شرح الكوكب المنير، ص ٢١٤-٢١٥ من التعريفات، ص ٢٣-٢٤ من إرشاد الفحول.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "فهذا التقسيم اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم... بل ولا تكلم به أئمة اللغة... ولا من سلف الأمة، وعلمائها وإنما هو اصطلاح حادث... فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة، ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة، وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وما علمته موجودا في المائة الثانية"^(١).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله بعد رده تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز: "وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص"^(٢).

المبحث الأول: أقوال العلماء في المجاز.

اختلف العلماء في المجاز بين مجيز، ومانع، ومفصل، ولقد تتبعت أقوالهم فيه فتحصل لي خمسة مذاهب^(٣) هي:

الأول: الجواز والوقوع مطلقا، وإليه ذهب الجمهور^(٤).

الثاني: المنع مطلقا، وإليه ذهب بعض العلماء والمحققين منهم أبو إسحاق الإسفراييني^(٥) من الشافعية، وأبو علي الفارسي من أهل اللغة، وهو قول المحققين من العلماء^(٦).

١ - مجموع الفتاوى (٧/٨٨، ٨٩)، (١٢/٢٧٧).

٢ - مختصر الصواعق المرسله ٥/٢.

٣ - أوردها كلها الزركشي في البحر المحيط ٢/١٨٥.

٤ - انظر: ٢٤/١ من المعتمد، ٤٧/١ من الإحكام للأمدي، ٨٠/١ من التمهيد لأبي الخطاب، ص ٥٦٤ من المسودة، ١٩١/١ من شرح الكوكب، ص ٢٢ من إرشاد الفحول.

٥ - وقد طعن في النقل عن أبي إسحاق الإسفراييني إمام الحرمين ظنا منه ولكن الأظهر ثبوته عنه، وقد دأبت كتب الأصول على إثباته عنه، وعن الفارسي في أكثرها.

٦ - كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، وقد ذكرا من ذهب إليه، انظر ٧/٨٩ من الفتاوى، ص ٨٥ من كتاب الإيمان، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت ٢/٢٤٢-٢٤٣ من مختصر الصواعق المرسله لابن القيم، اختصار محمد بن الموصلي دار الندوة الجديدة، بيروت، وانظر في ذلك أيضا: ٨٠/١ من التمهيد لأبي الخطاب، ص ١٦٥ من المسودة،

القول الثالث: المنع في القرآن وحده، وهو قول بعض العلماء منهم داود بن علي، ومن الشافعية ابن القاص، ومن المالكية ابن خويز منداد، ومن الحنابلة جمع منهم: أبو الفضل التميمي بن أبي الحسن التميمي، وأبو عبد الله بن حامد وغيرهم^(١).

القول الرابع: المنع في القرآن والسنة دون غيرهما^(٢)، وهو قول ابن داود الظاهري.

القول الخامس: التفصيل بين ما فيه حكم شرعي وغيره، فما فيه حكم شرعي لا مجاز فيه وما لا فلا^(٣)، وإلى هذا التفصيل ذهب ابن حزم الظاهري.

المبحث الثاني: الأدلة، والمناقشات، والراجح، ووجه ترجيحه.

أولاً: أدلة الجمهور القائلين بجواز المجاز ووقوعه.

استدلوا بأدلة كثيرة على ذلك، أهمها:

١- أن الاسم في لغة العرب منقسم إلى الحقيقة والمجاز، وهذا التقسيم معتبر عند علماء العربية، ومشتهر في استعمالات العرب، والقرآن هو أصل اللغة، ومعينها، فمحال أن يأتي بخلاف ما عليه أهل اللسان العربي، من تقسيم الاسم إلى حقيقة ومجاز.

٢- أن الأمثلة على وقوع المجاز في القرآن وغيره كثيرة جداً، وهي أشهر من أن تتكر كقوله تعالى: {وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}، {جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ}، {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}، وغيرها.

١٩٢/١ من شرح الكوكب المنير، ١٨٣/١ من شرح ابن بدران على الروضة، ص ٥٨ من مذكرة الشنقيطي.

١ - كأبي الحسن الخرزى من الحنابلة، ومنذر بن سعيد البلوطي، وقد ذكر شيخ الإسلام أن له مصنفاً في منع المجاز في القرآن ٨٩/٧ من الفتاوى.

٢ - نسبه إليه الزركشي في البحر وقال تفرد به، انظر ١٨٥/٣، وأورده ابن حزم في الإحكام ٥٣١/٤.

٣ - أورده الزركشي في البحر ١٨٥/٣، وانظر: ٥٣١/٤-٥٣٢ من الإحكام لابن حزم الظاهري.

ووجه الاستدلال من هذه الآيات أنها استعملت في غير ما وضعت له أولاً في أصل الوضع، فقوله "جناح الذل" الجناح حقيقة للطائر من الأجسام، والمعاني والجمادات لا توصف به، فإثباته للذل مجاز قطعاً، والسؤال لأهل القرية، وليس لها، فهو مجاز بالحذف، والجدار لا إرادة له، إذ الإرادة حقيقة، من خصائص الإنسان أو الحيوان، وإنما هو كناية عن مقاربتة الانقراض لأن من أراد شيئاً قاربه فكانت المقاربة من لوازم الإرادة، فتجوز بها عنها^(١).

ثانياً: أدلة المانع من وجود المجاز، ومناقشتهم للمجيزين.

سأورد هنا أدلة المانع للمجاز سواء في اللغة أم في القرآن وحده أم في القرآن والسنة لتقاربها، وتلافياً للتكرار وفي ثناياها مناقشة المخالف ومنها:

(أ) أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز لم يقع إلا في كلام المتأخرين، فهو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، ولم يتكلم في ذلك أحد من الصحابة والتابعين، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم من أئمة المذاهب، وغيرهم، بل ولا تكلم فيه أئمة اللغة والنحو المعترفون.

(ب) أن الذين أطلقوا كلمة المجاز من علماء السلف لم يعنوا بها ما هو قسيم الحقيقة، فأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر ابن المثنى في كتابه "مجاز القرآن"، ولكنه لم يعن بالمجاز ما يقابل الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية.

وقال الإمام أحمد في كتابه "الرد على الجهمية" في قوله تعالى "إنا" و"نحن" ونحو ذلك في القرآن، هذا من مجاز اللغة، ومراده رحمه الله بذلك أن هذا مما يجوز استعماله في اللغة، ولم يرد أنه مستعمل في غير ما وضع له.

(ج) أن الذين قالوا بالتقسيم مطالبون بالدليل لكون الألفاظ العربية وضعت أولاً لمعان، ثم بعد ذلك استعملت فيها، ثم تجوز بها عن ما وضعت له ولن يستطيعوا ذلك، لأنه ليس بإمكان أحد أن ينقل عن العرب أنه اجتمع جماعة،

١ - انظر: ١٨٢/١ من شرح ابن بدران للروضة. وانظر في أدلة المجيزين: ٤٧/١ من الإحكام للأمدى، ٨٠/١ من التمهيد لأبي الخطاب، ١٨٢/١ من شرح الروضة لابن بدران، ص ٢٣ من إرشاد الفحول.

فوضعوا جميع الأسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع، وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال العرب هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني، وأي دعوى خلاف ذلك فليست صحيحة لعدم نقلها إلينا^(١).

(د) أن التقسيم ذاته غير صحيح من وجوه:

(١) أن دعوى المجاز تستلزم وضعاً قبل الاستعمال، وهذا غير معلوم.
(٢) أنه يستلزم تعطيل الألفاظ عن دلالتها على المعاني، وذلك ممتنع؛ لأن الدليل يستلزم مدلوله من غير عكس.

(٣) أن التقسيم لا يدل على وجود المجاز، بل ولا على إمكانه، ولا يدل على ثبوت كل واحد من الأقسام في الخارج، ولا على إمكانها، فإن التقسيم يتضمن حصر المقسوم في تلك الأقسام وهي أعم من أن تكون موجودة، أو معدومة ممكنة، أو ممتنعة.

(٤) أن هذا التقسيم يتضمن التفريق بين المتماثلين، فإن اللفظ إذا أفهم هذا المعنى تارة، وهذا تارة، فدعوى المدعي أنه موضوع لأحدهما نون الآخر تحكم محض.

(٥) أنه يلزم منه الدور، فإن معرفة كون اللفظ مجازاً متوقف على معرفة الوضع الثاني، ومستفاد منه، فلو استفيد معرفة الوضع من كونه مجازاً لزم الدور الممتنع، فمن أين علم أن هذا وضع ثان للفظ؟ ومن أين علم أن وضع اللفظ لأحد معنيين سابق على وضعه للآخر؟

(٦) أن هذا التقسيم يتضمن إثبات الشيء ونفيه، فإن وضع اللفظ للمعنى هو تخصيص به، بحيث إذا استعمل فهم منه ذلك المعنى فقط، ففهم المعنى المجازي مع نفي الوضع، جمع بين النقيضين، وهو يتضمن أن يكون اللفظ موضوعاً غير موضوع.

(٧) أن المجاز هو ما يصح أن يقال لقائله إنه فيه كاذب لأنه يخبر بالشيء على خلاف حقيقته فيصح أن يقال لمن قال: "رأيت أسداً يرمي": إنك كاذب، حيث

١ - انظر: ٩٠/٧-٩١ من الفتاوى، ص ٨٦-٨٧ من الإيمان، ٢/٢٤٣-٢٤٤ من مختصر

الصواعق، ص ٦٢ من مذكرة الشنقيطي.

لم ير أسدا، وإنما رأى رجلا شجاعا، وهذا ظاهر في ضعف تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز.

(٨) أن هذا التقسيم لا ينضبط بضابط صحيح، ولهذا فإن عامة ما يسميه بعضهم مجازا، يسميه غيرهم حقيقة، وكل يدعي أن اللفظ مستعمل في موضوعه، وهذا يدل على بطلان هذا التقسيم، وتجرده من الحقيقة، وإذا بطل التقسيم بطل تقسيم التقسيم حيث قسموا كل قسم إلى أقسام وهذا ينقصه الدليل الصحيح، والنقل السليم^(١).

(هـ) أن الفروق التي يفرق بها بين الحقيقة والمجاز ليست صحيحة، كقولهم: إن المجاز يصح نفيه، والحقيقة ليست كذلك، وإن المجاز ما يتبادر غيره إلى الذهن، والحقيقة ما تتبادر إلى الذهن، وإن الحقيقة ما يفيد المعنى مجردا عن القرائن، والمجاز مالا يفيد ذلك المعنى إلا مع القرينة^(٢).

فهذه الفروق لم تخل من مناقشات طويلة، ومستلزمات غير سديدة، ثم ما ضابط القرائن، والعلائق التي تذكر؟ كل ذلك وغيره مما ليس له برهان ساطع، وضابط واضح يدل على عدم صحة هذه الفروق، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم^(٣).

(ز) أن هذا الأمر يستلزم لوازم غير صحيحة، ويترتب عليه أمور غير سديدة، وما استلزم ذلك فهو مثله، فما أولت الآيات وردت الأحاديث، إلا بدعوى

١ - انظر في بطلان التقسيم وما يترتب عليه: ٩٦/٧-١٠٦ من الفتاوى، ص ٩٢-١٠٤ من الإيمان، ٢٤٣-٢٨٧ من مختصر الصواعق، فقد ذكر فيه خمسين وجها على بطلانه، لما يترتب عليه من لوازم فاسدة.

٢ - انظر في الفروق بينهما: ٩٦/٧-١١٥ من الفتاوى، ص ٩٢-١٠١ من الإيمان، ٢٤٧/٢-٢٦١ من مختصر الصواعق، ٢٥/١-٢٧ من المعتمد، ٨٦/١ من التمهيد لأبي الخطاب، ص ٢٥ من إرشاد الفحول.

٣ - وانظر في ذلك: ٩٦/٧-١١٥ من الفتاوى، ص ٩٢-١٠١ من الإيمان، ٢٤٧/١-٢٦١ من مختصر الصواعق.

المجاز، وما عطلت الصفات العلي لله جل وعلا وحرفت إلا بدعوى المجاز، فقطع هذا الباب، وسده أسلم للشريعة، وأقوم للملة.

ثالثاً: أدلة المانعين منه في القرآن ومناقشتهم للمخالفين.

من ذلك إضافة إلى ما سبق: أننا لو أثبتنا المجاز في القرآن لصح أن نطلق على الله سبحانه اسم متجوز ومستعير وهذا لا يصح لأن أسماء الله توقيفية، كما أن دعواهم في القرآن بضرب الأمثلة المعروفة غير صحيحة، فالآيات والأمثلة التي ذكروها لا مجاز فيها، وإنما هي أساليب استعملتها العرب، ومعان حقيقية جاءت بها اللغة، فمثلاً قوله تعالى {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} فيه حذف مضاف، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أسلوب من أساليب العربية معروف^(١)، لأنه مما يعلم وحذف ما علم جائز كما قرره علماء العربية.

وأيضاً: فإن العرب استعملت لفظ القرية ونحوه من الألفاظ التي فيها الحال والمحل، وهما داخلان في الاسم، كالمدينة والنهر، والميزاب وغيرها، وأطلقت هذه الألفاظ تارة على المحل، وهو المكان، وتارة على الحال وهو السكان، وهذا أسلوب مشهور من أساليب العربية، فيقولون: حفر النهر، يريدون المحل، وجرى النهر، وهو الماء ووضعت والميزاب وهو المحل، وجرى والميزاب وهو الماء، ونحو ذلك^(٢)، ونظيره هذا المثال، {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} فقد جاء استعمال العرب لها تارة للمكان، وتارة للسكان، وقد جاء القرآن بذلك كله، قال تعالى: {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}، وقال في آية أخرى: {وَكَايِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ}، فالمراد بالقرية هنا السكان، وكذلك قوله تعالى: {وَبِئْسَ الْقَرْيَةُ الَّتِي أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا}، والمراد السكان.

وقد أطلق لفظ القرية، وأريد به المكان، قال تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ} الآية.

١ - انظر الأسلوب رقم (٤٦) الآتي في رسالتنا الأساليب، والإطلاقات العربية.

٢ - انظر: ١١٢/٧-١١٣ من الفتاوى، ص ١٠٨ من الإيمان، ٢٠/٢٦٣ من الفتاوى. والأسلوب

الآتي في رسالتنا برقم (١٦٢).

فالحاصل أن العرب تطلق هذا اللفظ، وتريد به تارة المكان، وتارة السكان، والسياق هو الذي يحدد ذلك، وليس هذا اللفظ مجازاً، وإنما أسلوب من أساليب العربية المعروفة^(١).

وقوله تعالى: {وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} ليس المراد به أن للذلل جناحاً، بل المراد بالآية الكريمة كما يدل عليه كلام جمع من المفسرين أنها من إضافة الموصوف إلى صفته، فيكون المعنى "واخفض لهما جناحك الذليل لهما من الرحمة"، وقد ورد ما يدل على ذلك في كلام العرب كقولهم "حاتم الجود" أي الموصوف بالجود، ووصف الجناح بالذل، مع أنه صفة الإنسان، لأن البطش يظهر برفع الجناح، والتواضع واللين يظهر بخفضه فخفضه كناية عن لين الجانب، وإضافة صفة الإنسان لبعض أجزائه أسلوب من أساليب العربية كما في هذا المثال، وكما في قوله تعالى: {نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ}، والمراد: صاحب الناصية^(٢)، والله أعلم.

وأما قوله تعالى: {جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ} فلا مجاز فيه من وجهين: أحدهما: أن المراد بالإرادة هنا إرادة حقيقية، لأن للجمادات إرادة حقيقية، لا نعلمها، وإنما يعلمها الله عز وجل ومما يؤيد ذلك سلام الحجر على الرسول - صلى الله عليه وسلم -^(٣)، وحنين الجذع الذي كان يخطب عليه لما تحول عنه إلى المنبر^(٤)، وهذا كله ناشئ عن إرادة يعلمها الله تعالى وإن لم نعلمها، كما في قوله

١ - انظر: ١١٢/٧-١١٣، ٤٦٣/٢٠ من الفتاوى، ص ١٠٨ من الإيمان، ٣٠٢/٢-٣٠٣ من

مختصر الصواعق المرسلّة.

٢ - انظر في ذلك كله: ٤٦٥/٢٠ من الفتاوى، ٢٥٢/٢ من مختصر الصواعق، ص ٥٨-٥٩ من مذكرة الشنقيطي، والأسلوب رقم (١٢٠) في رسالتنا الأساليب.

٣ - يشير إلى ما رواه مسلم (١٧٨٢/٤)(٢٢٧٧)، وغيره عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن).

٤ - قال الكتاني في نظم المنتاثر (ص/ ٣٠٢): [حنين الجذع: أورده في الأزهار من حديث سهل بن سعد، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وأبي بن كعب، وريدة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأنس، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة السهمي عشرة أنفس...].

تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَمْ تُقَهِّوْنَ تَسْبِيحَهُمْ}، وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة.

الثاني: أن الإرادة تطلق على معان عدة، منها: المعنى اللغوي المعروف، ومنها: مقاربة الشيء، والميل إليه فيكون معنى إرادة الجدار ميله إلى السقوط، وقربه منه، وهذا أسلوب عربي معروف، وبه ينتفي ادعاء المجاز في الآية^(١).
وأما قوله تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدًا مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ} فلا مجاز فيه كذلك، بل هو من إطلاق اسم المحل على الحال فيه وعكسه، وهذا أسلوب من أساليب العربية المشهورة، وكلاهما حقيقة في محله، كما سبق نظيره في القرية، والنهر ونحوها.
فحاصل الجواب على هذه الأمثلة التي ادعي فيها المجاز أن يقال: إن ذلك أسلوب من أساليب العرب على حقيقته^(٢).

رابعاً: ومما سبق من الأدلة والمناقشات على منع المجاز في القرآن يدخل فيها المنع في السنة لعموم كونها وحيا من الله تبارك وتعالى.

خامساً: مناقشة الجمهور لأدلة نفاة المجاز.

وقد ناقش الجمهور حجج المنكرين وأجابوا عن أدلتهم فمن ذلك:
أن القول بأن العرب لم تقسم الكلام إلى حقيقة، ومجاز، فإن أردتم أنهم لم يضعوا هذا الاصطلاح فمسلّم، وإن أردتم أنه لا يوجد في كلامهم مجاز فغير مسلم بدليل ما ذكرناه من الأمثلة.

وأما قولكم إن هذا الاصطلاح حادث لم يعرف إلا بعد القرون المفضلة فغير صحيح بل قد تكلم به عدد من الأئمة منهم معمر بن المنثى مما يدل على أنه استعمال قديم وقد يطلقون عليه لفظ الاتساع.

وأما القول بأن المجاز يخل بالفهم، فحن اشترطنا لصحة القول بالمجاز وجود القرينة التي تمنع الإخلال بالفهم، وتبين مراد المتكلم من لفظه.

١ - انظر: ١٠٨/٧ من الفتاوى، ص ١٠٣ من الإيمان، ص ٥٩ من مذكرة الشنقيطي، والأسلوب رقم (٦٥) في رسالتنا الأساليب.

٢ - وبهذا أيها القارئ الكريم يتبين لك أهمية تجميع مثل هذه الأساليب، فله الفضل والمنة.

وأما قولكم إن المجاز كذب، وأنه يصح نفيه فغير مسلم، لأنه وإن جاز نفيه فليس كذبا، لأن المنفي هو إرادة المعنى الحقيقي وليس المجازي بدليل القرينة الموضحة للمراد.

وأما دعوى أن المجاز يلزم عليه وصف الله سبحانه بأنه متجاوز، ومستعير، فغير مسلم، لأن الصفات توقيفية.

تلك أهم المناقشات التي أوردتها الجمهور على القائلين بنفي المجاز وإنكاره^(١).

سادسا: أما التفصيل بين ما فيه حكم شرعي، وما ليس فيه فيمنع في الأحكام الشرعية لما يترتب عليه من لوازم غير صحيحة، فالأحكام الشرعية مبنية على القرآن والسنة بلفظ العرب ولغتهم، فالأيمان والنذور والمعاملات والنكاح والطلاق ونحوها لا مجاز فيها، أما ما ليس فيه حكم شرعي فالأمر فيه واسع بحمد الله، والله أعلم.

سابعا: الراجح ووجه ترجيحه.

مما سبق من عرض المذاهب، والأدلة والمناقشات، أرى صعوبة الترجيح في هذه المسألة وإن كنت أميل إلى التفصيل على حسب الضوابط الشرعية وأهمها:

(١) ألا يكون في القرآن والسنة.

(٢) ألا يكون في الاعتقاد لاسيما صفات الله سبحانه.

(٣) ألا يكون طريقا إلى تأويل النصوص وردها والتصل من الأحكام

الشرعية.

١ - انظر في ذلك: ٣١/١ من المعتمد لأبي الحسين البصري، ٢١٢/١ من فواتح الرحموت، ٢٢/٢ من تيسير التحرير، ص ١٧٩ من التبصرة للشيرازي، ٤٦٤/١/١ من المحصول للرازي، ٥٠/١ من الإحكام للآمدي، ٧٠٠/٢ من العدة، ١٠٩٤/٢، ٦٤٨، ٩١٣، من كتاب المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع د. عبد العظيم المطعني، ط/مكتبة وهبة بالقاهرة.

والذي يظهر لي إذا دون تعصب، ولا تقليد رجحان القول بعدم المجاز، لاسيما في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، لقوة أدلة المانعين، وضعف أدلة المجيزين مما ورد عليها من المناقشات القوية، التي أوهنتها. ولما يلزم على القول بالجواز المطلق من لوازم غير سديدة، كتعطيل صفات الكمال لله جل وعلا بحجة المجاز وتأويل النصوص على حسب الأهواء بهذه الحجة، ولعدم الضوابط السليمة التي يعرف بها ما قسموه، مما يوهن القول به، ولما يترتب على التفريق بين ما قسموه، من جواز نفي بعض كلمات القرآن والسنة، لأن المجاز يجوز نفيه وهذا باطل قطعاً، ونحو ذلك مما تقدم عند أدلة المانعين، ومناقشتهم للمجيزين فيصار إلى القول بأن ما سموه بالمجاز يسمى أسلوباً من أساليب العرب المشهورة، التي درجت عليها وعرفت عنها، فالحاصل أن الراجح هو التفصيل والقول بجواز المجاز بالضوابط الشرعية، فما يتعلق بالاعتقاد والصفات وكلام الله فلا مجاز فيه بل كله حقيقة، أما المجاز فيما دون ذلك فأمره يسير بحمد الله^(١).

المبحث الثالث: هل للخلاف في المجاز ثمرة؟

بعد عرض الخلاف في المسألة ظهر لي أن الخلاف بين المانعين، والمجيزين خلاف حقيقي ليس لفظياً، وإن لم يترتب عليه كبير فائدة في الفروع بشرط ألا يتخذ القول بالمجاز نريعة لتعطيل شيء مما جاء به الشرع، فالأمثلة السابقة المضروبة لهذه المسألة، يطلق عليها المجيزون مجازاً، ويطلق عليها المانعون أسلوباً عربياً،

١ - قلت - المؤلف -: ولا أرى لهذا التفريق وجه، بل الراجح هو القول بالمنع مطلقاً في اللغة، والقرآن، والسنة، وأن كل ما يسميه القائلون بالمجاز مجازاً إنما هو أسلوب تكلمت به العرب، وهذه الأساليب لا يجوز نفيها، وعلى هذا، فلا يمكن إثبات مجاز في اللغة العربية أصلاً كما نكر ذلك العلامة ابن تيمية، وابن القيم، والشنقيطي - رحمهم الله - وسوف يأتي قريباً - بمشينة الله تعالى - زيادة بيان لهذه الأساليب، وأمثلة أخرى عليها.

تكلت بها العرب، وهي حقيقة في معناها، لا تجوز فيها^(١)، ولهذا فقد أنكر المانعون كون الخلاف لفظياً^(٢)، لأنهم لم يسلموا أصلاً بصحة التقسيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع، محدث لم ينطق به السلف، والخلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظياً، بل يقال: نفس هذا التقسيم باطل، لا يتميز هذا عن هذا،.."^(٣).

المبحث الرابع: أثر القول بالمجاز على النصوص الشرعية وتعقيب على أشهر الأمثلة التي ذكرها بعض الأصوليين للمجاز.

لقد كان للقول بالمجاز على إطلاقه أثر عظيم وخطير على الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه حيال النصوص الشرعية حيث يجب إثباتها على حقيقتها دون تحريف لها عن معانيها الحقيقية لاسيما فيما يتعلق بالأسماء والصفات، وقد سبق أن أوردت في حجج منكري المجاز ومناقشتهم للمثبتين له شيئاً من ذلك بما يغني عن الإعادة.

وقد ذكر الأصوليون عدداً من الأمثلة من القرآن على إثبات المجاز وحيث إن كثيراً منها يتعلق بصفات الباري جل وعلا، فإن ادعاء المجاز فيها يقتضي نفي حقيقتها، وتعطيل دلالتها على إثبات صفات الكمال لله عز وجل، التي أثبتتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وسار عليها سلف هذه الأمة، وقد عرف عن بعضهم سلوكه مذهب الأشاعرة في العقيدة، لذا فقد وقعوا في تأويل بعض النصوص عن حقيقتها، بدعوى المجاز، ولاسيما في آيات الصفات وتلك عقيدة المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة في إثباتهم الصفات لله، كما جاءت، وإقرارها كما وردت، بدون تأويل، ولا تعطيل، ولا نفي لحقيقتها، ولا ادعاء كونها مجازاً.

وإليك بعض الأمثلة^(١) التي ذكروها - عفا الله عنهم - تعد شواهد من كلامهم تبين خطورة القول بالمجاز في هذا المجال:

١ - كذا بالأصل، ولعل الصواب: لا تجوز نفيها.

٢ - انظر: ٤٦/١ من الإحكام للآمدي حيث جعله كذلك.

٣ - ١١٣/٧ من الفتاوى، وانظر ٢٤٣/٢ من مختصر الصواعق لابن القيم.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ..} الآية.

هذا المثال نكره بعضهم لإثبات المجاز في القرآن، مع اختلافهم في معنى إيذاء الله تعالى.

فيرى بعضهم أن معنى إيذاء الله: إيذاء رسوله^(٢).

ويرى آخرون أن معنى إيذاء الله: إيذاء أوليائه^(٣).

والذي اضطرهم إلى هذا التأويل الواضح ادعاؤهم المجاز فيها.

والحق: أن كلا التفسيرين ليس صحيحا، بل تحمل الآية على حقيقتها، وتجرى على ظاهرها، ويكون المعنى الصحيح لإيذاء الله: الكفر به، ومخالفة أوامره، وارتكاب زواجره، واتخاذ الأنداد والشركاء له، وتكذيب رسله عليهم الصلاة والسلام^(٤)، ويدل على ذلك المعنى حديث "ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدا، ويجعلون له أندادا، وهو مع ذلك يعافهم ويرزقهم"^(٥).

وأما تفسير من أوله بأنه إيذاء رسوله فهو مردود، بما ذكر، ثم إن الله نص في الآية نفسها على إيذاء الرسول بعد نكره إيذائه، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} فيكون الكلام على هذا القول مكرراً، وهذا محال؛ لمنافاته الأسلوب الصحيح، والتعبير السليم، الذي جرى عليه كتاب الله.

وأما تفسير من قال بأنهم يؤذون أوليائه فهو غير صحيح من جهتين:

الأولى: ما نكر سابقا من المعنى الصحيح في الآية.

الثانية: أن الآية نفسها فيها نكر للرسول، وللمؤمنين والمؤمنات وهم أولياء الله، فيكون في الكلام تكرار لا يليق بكتاب الله، ولو قيل به لحصل المحذور، وهو

١ - وقد اقتضرت على نكر مثلاً واحداً مما نكر د. السديس، خشية الإطالة.

٢ - ١٠٥/١ من المستصفى، ص ٦٤ من الروضة.

٣ - ١٠٥/١ من المستصفى، ٢/٦٩٦ من العدة.

٤ - انظر: ٥١٧/٣ من تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط/دار الفكر، ٢٣٧/٧ من تفسير القرطبي، ص ٦٠ من مذكرة الشنقيطي.

٥ - أخرجه البخاري (٢٢٦٢/٥)(٥٧٤٨)، ومسلم (٢١٦٠/٤)(٢٨٠٤) من حديث أبي موسى - رضي الله عنه -.

صرف الآية عن ظاهرها، وتأويلها على غير حقيقتها، والوقوع في التكرار الممنوع الذي يجعل المعطوف عليه بمعنى المعطوف فيكون معنى لفظ الجلالة "الله" بمعنى لفظ "الرسول" وبمعنى لفظ "المؤمنين"، وهذا غير مراد قطعاً.

والأمثلة التي نكرها القائلون بالمجاز ليس فيها مجاز على القول الراجح وإنما هي أساليب بلاغية، تكلم بها العرب وأرادوا بها الحقيقة، وأما آيات الصفات فهي حق، تمر على ظاهرها، وتجرى على حقيقتها، نوردها كما جاءت، ونثبتها كما وردت ولا نقع فيه تأويلاً أو تعطيلاً بدعوى المجاز، فهذا خلاف منهج السلف أهل السنة والجماعة والله تعالى أعلم. اهـ كلام د. عبدالرحمن السديس باختصار.

الأساليب العربية

الأسلوب العربي هو: الطريقة^(١) التي يسلكها العرب للتعبير عن أفكارهم، أو عواطفهم.

وقد بيّن العلامة الشنقيطي^(٢) - رحمه الله - أهمية هذه الأساليب العربية في الرد على القائلين بالمجاز النافين لصفات الله - عز وجل -، وبيّن أيضاً أنها حقائق تكلم بها العرب، وأنه لا يجوز نفيها، وإليك جملاً من أقواله يتضح بها المقام، والله المستعان.

قال العلامة الشنقيطي: [كل ما يسميه القائلون بالمجاز مجازاً فهو - عند من يقول بنفي المجاز - أسلوب من أساليب اللغة العربية.

فمن أساليبها إطلاق الأسد مثلاً على الحيوان المفترس المعروف، وأنه ينصرف إليه عند الإطلاق، وعدم التقييد بما يدل على أن المراد غيره. ومن أساليبها إطلاقه على الرجل الشجاع إذا اقترن بما يدل على ذلك. ولا مانع من كون أحد الإطالقين لا يحتاج إلى قيد، والثاني يحتاج إليه؛ لأن بعض الأساليب يتضح فيها المقصود فلا يحتاج إلى قيد، وبعضها لا يتعين المراد فيه إلا

١ - قال الفيومي في المصباح المنير مادة (س ل ب) : [(الأسلوبُ) بضم الهمزة الطريق والفن وهو على (أسلوبٍ) من (أساليبٍ) القوم أي على طريق من طرقهم].

٢ - وانظر أيضاً ما سبق من كلام د. عبدالرحمن السديس .

بقيد يدل عليه، وكل منهما حقيقة في محله. وقس على هذا جميع أنواع المجازات. وعلى هذا، فلا يمكن إثبات مجاز في اللغة العربية أصلاً، كما حققه العلامة ابن القيم - رحمه الله - في الصواعق. وإنما هي أساليب متنوعة بعضها لا يحتاج إلى دليل، وبعضها يحتاج إلى دليل يدل عليه، ومع الاقتران بالدليل يقوم مقام الظاهر المستغني عن الدليل، فقولك: " رأيت أسداً يرمي " يدل على الرجل الشجاع، كما أن لفظ الأسد عند الإطلاق على الحيوان المفترس. ثم إن القائلين بالمجاز في اللغة العربية اختلفوا في جواز إطلاقه في القرآن... والذي ندين به، ويلزم قبوله كل منصف محقق أنه لا يجوز إطلاق المجاز مطلقاً على كلا القولين.

أما على القول بأنه لا مجاز في اللغة أصلاً - وهو الحق - فعدم المجاز في القرآن واضح، وأما على القول بوقوع المجاز في اللغة العربية فلا يجوز القول به في القرآن. وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر، فتقول لمن قال: رأيت أسداً يرمي، ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع، فيلزم على القول بأن في القرآن مجاز أن في القرآن ما يجوز نفيه.

ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن، وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهد في الخارج صحته، وأنه كان نريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك فقالوا: لا يد ولا استواء ولا نزول، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات، لأن هذه الصفات لم ترد حقائقها، بل هي عندهم مجازات، فاليد مستعملة - عندهم - في النعمة أو القدرة، والاستواء في الاستيلاء، والنزول نزول أمره، ونحو ذلك، فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول بالمجاز... [(1)]

ثم قال - رحمه الله: [فإن قالوا: هذا الذي نسميه مجازاً وتسمونه أسلوباً

١- انظر رسالة " منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز " (ص ٣٥ : ٣٨) .

آخر من أساليب اللغة يجوز نفيه على قولكم، كما جاز نفيه على قولنا. فيلزم المحذور قولكم كما لزم قولنا.

فالجواب: أنه على قولنا بكونه حقيقة لا يجوز نفيه. فإن قولنا: رأيت أسداً يرمي - مثلاً - لا نسلم جواز نفيه؛ لأن هذا الأسد المقيد بكونه يرمي ليس حقيقة الحيوان المفترس حتى نقول: وهو ليس بأسد. فلو قلتم: فهو ليس بأسد. قلنا: نحن ما زعمنا أنه حقيقة الأسد المتبادر عند الإطلاق حتى تكذبونا، وإنما قلنا بأنه أسد يرمي، وهو كذلك هو أسد يرمي.

قال ابن القيم - رحمه الله - في مختصر الصواعق ما نصه: (الوجه السادس عشر): أن يقال: ما تعنون بصحة النفي؟ نفي المسمى عند التقييد؟ أم القدر المشترك؟ أم أمراً رابعاً؟ فإن أردتم الأول كان حاصله أن اللفظ له دلالتان، دلالة عند الإطلاق ودلالة عند التقييد، بل المقيد مستعمل في موضعه، وكل منهما منفي عن الآخر. وإن أردتم الثاني لم يصح نفيه فإن المفهوم منه هو المعنى المقيد فكيف يصح نفيه. وإن أردتم القدر المشترك بين ما سميتموه حقيقة ومجازاً لم يصح نفيه أيضاً. وإن أردتم أمراً رابعاً فبينوه لنا لنحكم عليه بصحة النفي أو عدمها. وهذا ظاهر جداً لا جواب عنه كما ترى. اهـ كلام ابن القيم - رحمه الله - بلفظه. وهو موضح غاية لما ذكرنا مصرح بأنه ظاهر جداً لا جواب عنه.

فإن قيل: هذا الذي قررتم يدل على عدم صحة نفي المجاز، لأن ابن القيم ساق الكلام المذكور ليبين عدم صحة نفي المجاز وإذا يرتفع المحذور الناشئ عن القول بصحة نفيه.

فالجواب: أنكم أيها القائلون بالمجاز أنتم الذين أطبقتم على جواز نفيه وتوصلتم بذلك إلى نفي كثير من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة، زعماً منكم أنها مجاز وأن المجاز يجوز نفيه - فلو أقررتم بأنه لا يجوز نفيه لوقفتم على أنه أسلوب من أساليب اللغة العربية وهو حقيقة في محله، وسلمتم من نفي صفات الكمال والجلال الثابتة في القرآن.... [(١)].

١- انظر الرسالة السابقة (ص/٧٠ - ٧١) .

وبعد ، فسوف أضرب بعض الأمثلة⁽¹⁾ التي يتبين بها طريقة الشنقيطي - رحمه الله - في الرد على القائلين بالمجاز بطريقة الأساليب العربية ، حتى يتضح المقام تمام الاتضاح .

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - : [في هذه الآية الكريمة سؤال معروف، هو أن يقال: كيف أوقع الإذاقة على اللباس في قوله: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}. وروي أن ابن الراوندي الزنديق قال لابن الأعرابي إمام اللغة الأديب: هل يُذاق اللباس؟ ا يريد الطعن في قوله تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ}. فقال له ابن الأعرابي: لا بأس أيها النسناس هب أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان نبياً! أما كان عربياً؟

قال مقيده عفا الله عنه: والجواب عن هذا السؤال ظاهر، وهو أنه أطلق اسم اللباس على ما أصابهم من الجوع والخوف؛ لأن آثار الجوع والخوف تظهر على أبدانهم، وتحيط بها كاللباس، ومن حيث وجدانهم ذلك اللباس المعبراً به عن آثار الجوع والخوف، أوقع عليه الإذاقة، فلا حاجة إلى ما يذكره البيانين من الاستعارات في هذه الآية الكريمة، وقد أوضحنا في رسالتنا التي سميناهما (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز): أنه لا يجوز لأحد أن يقول إن في القرآن مجازاً، وأوضحنا ذلك بأدلتنا، وبيننا أن ما يسميه البيانين مجازاً أنه أسلوب من أساليب اللغة العربية.

وقد اختلف أهل البيان في هذه الآية، فبعضهم يقول: فيها استعارة مجردة. يعنون أنها جيء فيها بما يلائم المستعار له. وذلك في زعمهم أنه استعار اللباس لما غشيهم من بعض الحوادث كالجوع والخوف، بجامع اشتماله عليهم كاشتمال اللباس على اللابس على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية التحقيقية، ثم ذكر الوصف، الذي هو الإذاقة ملائماً للمستعار له، الذي هو الجوع والخوف؛ لأن إطلاق النوق على وجدان الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة لكثرة الاستعمال.

فيقولون: ذاق البؤس والضر، وأذاقه غيره إياهما. فكانت الاستعارة مجردة

١ - وسوف تأتي هذه الأمثلة، وغيرها - بمشيئة الله - في صلب الرسالة، وإنما نقلتها هنا للإيضاح، وحتى يكون القارئ على بصيرة تامة بموضوع الرسالة.

لذكر ما يلائم المستعار له، الذي هو المشبه في الأصل في التشبيه الذي هو أصل الاستعارة. ولو أريد ترشيح هذه الاستعارة في زعمهم لقليل: فسكاها؛ لأن الإتيان بما يلائم المستعار منه الذي هو المشبه به في التشبيه الذي هو أصل الاستعارة يسمى «ترشيحاً»، والكسوة تلائم اللباس، فذكرها ترشيح للاستعارة، قالوا: وإن كانت الاستعارة المرشحة أبلغ من المجردة، فتجريد الاستعارة في الآية أبلغ من حيث إنه روعي المستعار له الذي هو الخوف والجوع، وبذكر الإذاقة المناسبة لذلك ليزداد الكلام وضوحاً.

وقال بعضهم: هي استعارة مبنية على استعارة، فإنه أولاً استعار لما يظهر على أبدانهم من الاصفرار، والذبول، والنحول اسم اللباس، بجامع الإحاطة بالشيء والاشتغال عليه، فصار اسم اللباس مستعاراً لآثار الجوع والخوف على أبدانهم، ثم استعار اسم الإذاقة لما يجدونه من ألم تلك الجوع والخوف، المعبر عنه باللباس، بجامع التعرف والاختبار في كل من الذوق بالفم، ووجود الألم من الجوع والخوف. وعليه ففي اللباس استعارة أصلية كما ذكرنا، وفي الإذاقة المستعارة لمس ألم الجوع، والخوف استعارة تبعية.

وقد ألمنا هنا بطرف قليل من كلام البيانين هنا ليفهم الناظر مرادهم، مع أن التحقيق الذي لا شك فيه: أن كل ذلك لا فائدة فيه، ولا طائل تحته، وأن العرب تطلق الإذاقة على الذوق وعلى غيره من وجود الألم واللذة، وأنها تطلق اللباس على المعروف، وتطلقه على غيره مما فيه معنى اللباس من الاشتغال. كقوله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}، وقول الأعشى:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها *** تثنت عليه فكانت لباسا

وكلها أساليب عربية، ولا إشكال في أنه إذا أطلق اللباس على مؤثر مؤلم يحيط بالشخص إحاطة اللباس، فلا مانع من إيقاع الإذاقة على ذلك الألم المحيط المعبر باسم اللباس. والعلم عند الله تعالى. (1).

وقال أيضاً: [البشارة: الخبر بما يسر، وقد تطلق العرب البشارة على

الإخبار بما يسوء، ومنه قوله تعالى: {فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ومنه قول الشاعر:
وبشرتني يا سعد أن أحبتي *** جفوني وقالوا الود موعده الحشر
وقول الآخر:

يبشرنني الغراب ببين أهلي *** فقلت له تكلتك من بشير
والتحقيق: أن إطلاق البشارة على الإخبار بما يسوء، أسلوب من أساليب
اللغة العربية، ومعلوم أن علماء البلاغة يجعلون مثل ذلك مجازاً، ويسمونه استعارة
عنادية، ويقسمونها إلى تهكمية وتمليحية كما هو معروف في محله [(١)].

وقال أيضاً: [أطلق جل وعلا في هذه الآية الكريمة - أي قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ -، الرزق وأراد المطر، لأن المطر سبب الرزق،
وإطلاق المسبب وإرادة سببه لشدة الملاسة بينهما، أسلوب عربي معروف، وكذلك
عكسه الذي هو إطلاق السبب وإرادة المسبب كقوله:

أكنت دماً إن لم أرعك بضرّة *** بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
فأطلق الدم وأراد الدية، لأنه سببها.

وقد أوضحنا في رسالتنا المسماة: منع جواز المجاز، في المنزل للتعبد
والإعجاز، أن أمثال هذا أساليب عربية، نطقت بها العرب في لغتها، ونزل بها
القرآن، وأن ما يقوله علماء البلاغة من أن في الآية ما يسمونه المجاز المرسل
الذي يعدون من علاقاته السببية والمسببية، لا داعي إليه، ولا دليل عليه، يجب
الرجوع إليه.

وإطلاق الرزق في آية المؤمن هذه على المطر جاء مثله، في غير هذا
الموضع كقوله تعالى في أول سورة الجاثية {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِّنْ رِّزْقٍ
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فأوضح بقوله {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أن مراده
بالرزق المطر، لأن المطر هو الذي يحيي الله به الأرض بعد موتها.

وقد أوضح جل وعلا، أنه إنما سمي المطر رزقاً، لأن المطر سبب
الرزق، في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى في سورة البقرة {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

١- (٩/٤) (الكهف/١: ٥)، وانظر أيضاً (٣٤٢/٧) (الجاثية/٦: ٨).

مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ}، والباء في قوله فأخرج به سببية كما ترى. وكقوله تعالى في سورة إبراهيم: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ}. وقوله تعالى في سورة ق: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ}... [(١).

وفي الختام أنقل هذه العبارة للعلامة الأوسى - رحمه الله - للاستدلال بها على صحة كلام الشنقيطي - رحمه الله - في الأساليب، قال الأوسى في روح المعاني (٣٠٢/١) : [الويل: واد في جهنم يهوى به الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، وفي بعض الروايات: إنه جبل فيها، وإطلاقه على ذلك إما: حقيقة شرعية، وإما مجاز لغوي، من إطلاق لفظ الحال على المحل، ولا يمكن أن يكون حقيقة لغوية؛ لأن العرب تكلمت به في نظمها، ونثرها قبل أن يجيء القرآن، ولم تطلقه على ذلك]. فيستفاد من مفهوم المخالفة في هذه العبارة أن العرب إن تكلمت بها على المعنى المراد، فتكون حقيقة لغوية. وهذا هو نفس مقصود العلامة الشنقيطي بالأساليب العربية، فتراه يبين بهذه الأساليب أن ما يدعون فيه المجاز إنما هو أسلوب تكلمت به العرب، فيكون حقيقة، وليس مجازاً^(٢).

وبعد فقد لاح لك أيها القارئ الكريم أهمية جمع هذه الأساليب، والإطلاقات العربية، مع ذكر شواهدا من القرآن، واللغة، حتى يتضح لك الجواب عما زعموا أنه من المجاز قاصدين من وراء ذلك نفي الصفات، وهو في الحقيقة حقيقة في محله، وأسلوب عربي، تكلمت به العرب.

وهذا أوان الشروع في المقصود، فالله المستعان، وعليه البلاغ، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي.

عفا الله - تعالى - عنه

١ - (٧٦/٧) (غافر/١٣)، وانظر أيضاً (٧٦/٦) (النور/٣)، (٧/٢٦٣-٢٦٤) (الزخرف/٦١).
٢ - وليس الغرض هنا مناقشة المثال الذي ذكره - رحمه الله - وإنما الغرض التنبيه على موطن الشاهد من كلامه.

الأساليب والإطلاقات العربية (١)

١ - يسمى التقدير خلقاً^(٢).

[المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمى التقدير خلقاً ومنه قول زهير:

ولأنت تَفْرِي ما خلقت وبعض *** القوم يخلقُ ثم لا يَفْرِي

والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير أنه تعالى نصّ على ذلك في سورة فصلت حيث قال: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} ثم قال: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} الآية. [٣].

وقال: [وقوله في هذه الآية {أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} أي المقدرين والعرب تطلق الخلق وتريد التقدير. ومنه قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض *** القوم يخلقُ ثم لا يفري

١ - وقد رتبته حسب ورودها في تفسير "أضواء البيان"، وقد يرد الأسلوب أو الإطلاق في

أكثر من موضع، فيكون ترتيبه على حسب أول وروده، والمنقول على حسب شموله.

ولعلي قد توسعت بعض الشيء، وذلك بإيراد ما ليس له علاقة مباشرة بالرد على الآيات التي زعموا أن فيها مجازاً، وذلك بأنني قد أورد بعض الشواهد الشعرية التي تشهد لوجوه التفسير، وعنري في ذلك أنني رأيت - من وجهة نظري - أن هذه الشواهد قد يكون لها علاقة بالرد على القائلين بالمجاز، وإن كان بطريق غير مباشر، فهي تساعد في إثبات أن هذه الوجوه حقائق في محلها. فأرجو ممن وجد شيئاً من ذلك أن يحسن الظن، ويقوم بالنصح.

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز اللفظي، من باب إطلاق اللازم على الملزوم، وذلك لأن التقدير لازم للخلق. وانظر الإتيان للسيوطي (١١٣/٣).

٣ - هذا نص كلام الشنقيطي كما نكره في (٤٨/١) (البقرة/٢٩)، وانظر (٢٦٧/٦ - ٢٦٨) (الفرقان/١)، (١١٨/٧ - ١٢٠) (فصلت/١٠)، وسوف أضعه دائماً بين معكوفتين لتتميز

بعضه من بعض.

فقوله: يخلق ثم لا يفري: أي يقدر الأمر، ثم لا ينفذه لعجزه عنه كما هو معلوم. [(١)]

وقال أيضاً: [إطلاق اللازم، وإرادة الملزوم أسلوب عربي معروف، والقائلون بالمجاز يقولون: إن ذلك من المجاز المرسل، وعلى أن هذه الآية - أي قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (النور: ٢٧) أطلق فيها اللازم الذي هو الاستئناس وأريد ملزومه الذي هو الإذن، يصير المعنى: حتى تستأذنوا، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: { لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ }، وقوله تعالى بعده: { فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ }، وقال الزمخشري في هذا الوجه بعد أن ذكره: وهذا من قبيل الكناية، والإرداف؛ لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن. [(٢)]

٢- المفرد إذا كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مراداً به الجمع - مع تنكيره، أو تعريفه بالألف واللام أو بالإضافة - (٣).

[قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي من استقراء اللغة العربية التي نزل بها القرآن، هو أن من أساليبها أن المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مراداً به الجمع مع تنكيره كما في هذه الآية، وتعريفه بالألف واللام، وبالإضافة فمن أمثله في القرآن مع التنكير قوله تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَهْرٍ } أي وأنهار بدليل قوله تعالى { فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ } وقوله { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } أي أئمة وقوله تعالى { فَإِنَّ طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا } أي أنفساً وقوله تعالى { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ } أي سامرين وقوله تعالى { لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ } أي بينهم وقوله تعالى { وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا } أي رفقاء

١- (٧٨١/٥) (المؤمنون/١٢: ١٤).

٢- (١٦٧/٦) (النور/٢٧).

٣- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في المفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق المفرد على الجمع، وقد أجاد العلامة الشنقيطي - رحمه الله - في بيان أن ذلك واقع في لغة العرب، وأنه من أساليبها، فيكون حقيقة لا مجاز، كما سبق بيان ذلك في المقدمة.

وقوله تعالى {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} أي جنبين أو أجناباً وقوله تعالى {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} أي مظاهرون ومن أمثلة ذلك مع التكرير في كلام العرب قول عقيل بن علفة المري:

وكان بنو فزارة شرَّ عم *** وكنتُ لهم كثر بني الأخينا
يعني شر أعمام. وقول قعنب ابن أم صاحب:

ما بال قوم صديق ثم ليس لهم *** دين وليس لهم عقل إذا اتتمنوا
يعني ما بال قوم أصدقاء. وقول جرير:

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا *** بأعين أعداء وهن صديق
يعني صديقات. وقول الآخر:

لعمرى لئن كنتم على النأي والنوى *** بكم مثل ما بي إنكم لصديق
وقول الآخر.

يا عاذلاتي لا تزدن ملامة *** إن العوائل ليس لي بأمرير
أي لسن لي بأمراء.

ومن أمثله في القرآن واللفظ مضاف قوله تعالى {أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَقَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ} أي أصدقاؤكم: وقوله {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} أي أوامره: وقوله {وَإِنْ تَعَلُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} أي نعم الله: وقوله {إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيقِي}: أي أضيافي، ونظير ذلك من كلام العرب قول علقمة بن عبدة التميمي:

بها جيف الحسرى فأما عظامها *** فبيض وأما جلدها فصليب
أي وأما جلودها فصليبية.

وقول الآخر:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا *** فإن زمانكم زمن خميص
أي بطونكم. وهذا البيت والذي قبله أنشدهما سيبويه في كتابه مستشهداً بهما لما ذكرنا.

ومن أمثلة ذلك قول العباس بن مراس السلمي:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم *** وقد سلمت من الإحن الصدور
أي إنا إخوانكم. وقول جرير:

إذا آباؤنا وأبوك عدوا *** أبا ن المقرفات من العرب

أي إذا آباؤنا وأبوك عدوا، وهذا البيت، والذي قبله يحتمل أن يراد بهما جمع التصحيح للأب وللأخ، فيكون الأصل: أبون وأخون فحذفت النون للإضافة، فصار كلفظ المفرد.

ومن أمثله جمع التصحيح في جمع الأخ بيت عقيل بن علفة المذكور آنفاً، حيث قال فيه: كشر بني الأخينا.

ومن أمثلة تصحيح جمع الأب قول الآخر:

فلما تبين أصواتنا *** بكين وفديننا بالأبينا

ومن أمثلة ذلك في القرآن: واللفظ معرف بالألف واللام قوله تعالى: {وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} أي بالكتب كلها، بدليل قوله {كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ} الآية، وقوله {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} وقوله تعالى {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا} أي الغرف بدليل قوله {لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ} وقوله {وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ آمِنُونَ}: وقوله تعالى {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا}: أي الملائكة بدليل قوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ}: وقوله تعالى {سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}: أي الأديار بدليل قوله تعالى: {فَلَا تُولُوهُمْ الْأَنْبَارَ} وقوله تعالى: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ}: أي الأطفال: وقوله تعالى {هُمُ الْعَوْتُ فَأَحْذَرَهُمْ} أي الأعداء، ونحو هذا كثير في القرآن، وفي كلام العرب: وهو في النعت بالمصدر مطرد، كما تقدم مراراً.

ومن أمثلة ذلك قول زهير:

متى يَشْتَجِرِ قَوْمٌ يَقِلُّ سُرُوتَهُمْ *** هم بيننا هم رضى وهم عدل

أي عدول مرضيون. [(1)]

١- (٢٩/٥ - ٣٢) (الحج/٥)، وانظر أيضاً المواضع التالية: (٤٨/١) (البقرة/٣٠)، (٧٨٢/٥) (المؤمنون/١٢: ١٤)، (١٨٣/٧) (الشورى/١٧)، (٢٥١/٧) (الزخرف/٣٥: ٣٣)، (٦٦١/٧) (الذاريات / ١: ٦)، (٧٠٠ - ٦٩٩/٧) (النجم / ١: ٤)، (٧١٤/٧) (النجم/٥٣)، (٧٣٠/٧) (القمر/٥٤). وقال الثعالبي في سر العربية (ص/٣٥٢): [فصل في إقامة الواحد

٣- عطف الشيء على نفسه، مع اختلاف اللفظ ؛ لأن تغاير اللفظين ربما نزل منزلة التغاير المعنوي.

[قوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} الظاهر في معناه: أن الفرقان هو الكتاب الذي أوتيته موسى، وإنما عطف على نفسه؛ تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات ؛ لأن ذلك الكتاب الذي هو التوراة موصوف بأمرين:

أحدهما: أنه مكتوب كتبه الله لنبيه موسى عليه وعلى نبيينا الصلاة والسلام.
والثاني: أنه فرقان أي فارق بين الحق والباطل، فعطف الفرقان على الكتاب، مع أنه هو نفسه نظراً لتغاير الصفتين، كقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام *** وليث الكتبية في المزحم
بل ربما عطف العرب الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظ فقط، فاكتفوا بالمغايرة في اللفظ. كقول الشاعر:

إني لأعظم في صدر الكميّ على *** ما كان فيّ من التجدير والقصر
القصر: هو التجدير بعينه. وقول الآخر:

وقددت الأديم لراهشيه *** وألفى قولها كذباً وميناً
والمين: هو الكذب بعينه. وقول الآخر:

ألا حبذا هند وأرض بها هند *** وهند أتى من دونها النأي والبعد

مقام الجمع - هي من سنن العرب إذ تقول: قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا، أي أعيننا. وفي القرآن: "فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا"، وقال جلّ ذكره: "ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا" أي أطفالاً، وقال تعالى: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً"، وتقديره: وكم من ملائكة في السموات، وقال عزّ من قائل: "فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ". وقال: "هؤلاء ضيقي"، ولم يقل: أعدائي ولا أضيافي. وقال جلّ جلاله: "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ"، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين، والتقدير: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ، وقال: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ". وقال: "وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا". وقال: "وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ".

ومن هذا الباب سنة العرب أن يقولوا للرجل العظيم والملك الكبير: انظروا من أمري، ولأنّ السادة والملوك يقولون: نحن فعلنا وإنا أمرنا، فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون في الجواب، كما قال تعالى عَمَّنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: "رَبِّ ارْجِعُونِ".

والبعد: هو النأي بعينه. وقول عنتره في معلقته:

حييت من طلل تقادم عهده *** أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

والإقفار: هو الإقواء بعينه. [(1)]

وقال أيضاً: [قوله: {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} ...

الوجه الثاني من التفسير أن الآية الكريمة ليس فيها مضاف محذوف، وأن المراد بالآيتين نفس الليل والنهار، لا الشمس والقمر.

وعلى هذا القول فإضافة الآية إلى الليل والنهار من إضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف اللفظ، تنزيلاً لاختلاف اللفظ منزلة الاختلاف في المعنى. وإضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف اللفظ كثيرة في القرآن وفي كلام العرب. فمنه في القرآن قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ}، ورمضان هو نفس الشهر بعينه على التحقيق، وقوله: {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ}، والدار هي الآخرة بعينها. بدليل قوله في موضع آخر: {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ} بالتعريف، والآخرة نعت للدار. وقوله: {وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} والحبل هو الوريد، وقوله: {وَمَكْرَ السَّيِّئِ}، والمكر هو السيء بدليل قوله {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}.

ومن أمثله في كلام العرب قول امرئ القيس:

كبكر المقناة البياض بصفرة *** غذاها نمير الماء غير المحلل

لأن المقناة هي البكر بعينها، وقول عنتره في معلقته:

ومشك سابعة هتكت فروجها *** بالسيف عن حامي الحقيقة معلم

لأن مراده بالمشك: السابعة بعينها. بدليل قوله: هتكت فروجها. لأن الضمير عائد إلى السابعة التي عبر عنها بالمشك.

وقد أوضحنا هذه المسألة في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات

الكتاب) في سورة فاطر. وبيننا أن الذي يظهر لنا: أن إضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف لفظ المضاف والمضاف إليه أسلوب من أساليب اللغة العربية. لأن تغاير اللفظين ربما نزل منزلة التغاير المعنوي. لكثرة الإضافة المذكورة في القرآن وفي

كلام العرب. وجزم بذلك ابن جرير في بعض مواضعه في القرآن. وعليه فلا حاجة إلى التأويل المشار إليه بقوله في الخلاصة:

ولا يضاف اسم لما به اتحد *** معنى وأول موهماً إذا ورد

ومما يدل على ضعف التأويل المذكور قوله:

وإن يكونا مفردين فأضف *** حتماً وإلا أتبع الذي ردف

لأن إيجاب إضافة العلم إلى اللقب مع اتحادهما في المعنى إن كانا مفردين المستلزم للتأويل، ومنع الإتيان الذي لا يحتاج إلى تأويل دليل على أن تلك من أساليب اللغة العربية، ولو لم يكن من أساليبها لوجب تقديم ما لا يحتاج إلى تأويل على المحتاج إلى تأويل كما ترى. وعلى هذا الوجه من التفسير فالمعنى: فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة. أي جعلنا الليل ممحوراً الضوء مطموسه، مظلماً لا تستبان فيه الأشياء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو. وجعلنا النهار مبصراً. أي تبصر فيه الأشياء وتستبان. [(١)]

٤ - كل ما علا الماء يسمى طافياً.

[كل ما علا على وجه الماء ولم يرسب فيه تسميه العرب طافياً. ومن ذلك

قول عبد الله بن ربيعة رضي الله عنه:

وأن العرش فوق الماء طاف (٢) *** وفوق العرش رب العالمين (٣)

١ - (٤٢١/٣) (بني إسرائيل/ ١١)، وانظر أيضاً: (٢٤١/٣) (النحل/ ٣٠)، (٨١٢/٧) (الحديد/ ١٦)، (٧٩٨/٧) (الواقعة/ ٩٥ - ٩٦).

٢ - أسند الطفو هنا إلى العرش؛ لأن الطفو ملابس للعرش فهو وصف له، وإطلاق القعل وشبهه إلى ما له به ملابس، يسمى مجازاً عقلياً، كما زعموا في قوله تعالى: { وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا } (الزلزلة: ٢)، لإسناد الإخراج إلى الأرض لتلبسه بها، وهذا عند القائلين بالمجاز أحد أنواع المجاز العقلي، وطرفاه حقيقيان. وانظر الإتيان للسيوطي (٣/ ١٠٩ - ١١٠).

٣ - قال الحافظ الذهبي في "العلو" (ص/ ٤٩) (٨٣): [قال أبو عمر ابن عبد البر في كتاب "الاستيعاب": روي من وجوه صحاح أن عبد الله بن ربيعة مشى ليلة إلى أمة له فنالها، فرأته امرأته، فلامته، فجددها، فقالت له: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن، فإن الجنب لا يقرأ القرآن فقال:]

ويحكى في نوادر المجانين أن مجنوناً مرَّ به جماعة من بني راسب، وجماعة من بني طفاوة يختصمون في غلام، فقال لهم المجنون: القوا الغلام في البحر فإن رسب فيه فهو من بني راسب، وإن طفا على وجهه فهو من بني طفاوة. (١)

٥- الخيط الأبيض يطلق على الصبح، والأسود على الليل (٢).

[قوله تعالى: { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ } بينه قوله: { مِنْ الْفَجْرِ } (البقرة: ١٨٧) والعرب تسمى ضوء الصبح خيطاً، وظلام الليل المختلط به خيطاً، ومنه قول أبي دواد الإيادي:

فلما أضاعت لنا سدفة *** ولاح من الصبح خيط أنارا

وقول الآخر:

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق *** والخيط الأسود جنح الليل مكتوم [(٣).

شهمت بأن وعد الله حق *** وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف *** وفوق العرش رب العالمينا

فقال امرأته: صدق الله، وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن. قلت: روي من وجوه مرسله، منها: يحيى بن أيوب المصري حدثنا عمارة بن غزية عن قدامة بن محمد بن إبراهيم الحاطبي، فذكره فهو منقطع. [والقصة ضعفها أيضاً الحافظ ابن حجر في "الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف". والنووي في المجموع فقال (٢/ ١٨٣): إسناده هذه القصة ضعيف ومنقطع. والشيخ الألباني - رحمه الله - في تخريج الطحاوية (ص/ ٢٨٢) (٣٠٦)، وحكم عليها بالنكارة الشيخ مشهور حسن في كتاب "قصص لا تثبت"، إلا أنه ذهب في تحقيق "الخلافات" للبيهقي (٢/ ٣١-٣٨) إلى ثبوت الشعر الذي قاله عبد الله بن رواحة دون القصة المنكورة.

١- (٨٤/١) (البقرة / ١٧٣).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو مجاز الإسناد، والمجاز العقلي، وعلاقته هنا الزمانية؛ لأن (الخيط الأبيض)، وهو الضوء يحدث مع انفلاق الصبح، و(الخيط الأسود) الظلام يحدث مع دخول الليل، فأسند كلاهما لما يحدث فيه، ومثلوا له أيضاً بقوله تعالى: { يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا } (المزمل: ١٧)، قالوا: فقد أسند { يَجْعَلُ } إلى اليوم؛ لأنه يحدث فيه، وانظر الإتيان للسيوطي (٣/ ١٠٩).

٣- (١٠٥/١) (البقرة/ ١٨٧).

٦- ربما أطلقت العرب لفظ النعم على خصوص الإبل.

[قوله تعالى: { وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ } (آل عمران: ١٤)، ربما أطلقت العرب لفظ النعم على خصوص الإبل، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « من حمر النعم »^(١) يعني: الإبل^(٢). وقول حسان رضي الله عنه:
وكانت لا يزال بها أنيس *** خلال مروجها نعم وشاء
أي: إبل وشاء.]^(٣).

٧- إطلاق الخوف بمعنى العلم.

[الخوف في لغة العرب: الغم من أمر مستقبل. والحزن: الغم من أمر ماض. وربما استعمل كل منهما في موضع الآخر.

وإطلاق الخوف على العلم أسلوب عربي معروف. قال بعض العلماء: ومنه قوله تعالى {إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ}. قال معناه: إلا أن يعلما.
ومنه قول أبي محجن التقي:

إذا مُتْ فادْفِنِّي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ *** تروِّي عظامي في التراب عروقها
ولا تدفِنني بالفلاة فإنني *** أخاف إذا ما مُتُّ أن لا أدوقها^(٤)
فقوله أخاف: أي أعلم لأنه لا يشك في أنه لا يشربها بعد موته.]^(٥)

٨- إسلام الوجه يطلق ويراد به الإذعان والالتقاد التام.

[قوله تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ } ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله، في حال

١- جزء من حديث أخرجه البخاري (١٠٧٧/٣) (٢٧٨٣)، ومسلم (١٨٧٢/٤) (١٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: (فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز اللفظي، من نوع إطلاق العام على الخاص، ومثله أيضاً السيوطي في الإتقان (١١٢/٣) بقوله تعالى: { وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ } (الشورى: ٥)، قال: أي المؤمنين، بدليل قوله: { وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا } (غافر: ٧).
٣- (٢٤٢/١ - ٢٤٣) (آل عمران/١٤).

٤ - بالأصل بعض التحريف، وصوبته من البرنامج الإلكتروني: (الموسوعة الشعرية).

٥- (٢٧٧/٧ - ٢٧٨) (الزخرف/ ٦٨ - ٦٩)، وانظر (٢٦٩/١ - ٢٧٠) (النساء/٣).

كونه محسناً ؛ لأن استفهام الإنكار مضمن معنى النفي... ومعنى إسلام وجهه لله إطاعته وإذعانه، وانقياده لله تعالى بامتثال أمره، واجتناب نهيه في حال كونه محسناً، أي: مخلصاً عمله لله لا يشرك فيه به شيئاً مراقباً فيه لله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فالله تعالى يراه، والعرب تطلق إسلام الوجه، وتريد به الإذعان والانقياد التام، ومنه قول زيد بن نفيل العدوي:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت *** له المزن تحمل عنباً زلالاً
وأسلمت وجهي لمن أسلمت *** له الأرض تحمل صخرًا ثقلاً [(١)]
٩- عال يعول إذا جار ومال، وهو عائل (٢).

[العرب تقول: عال يعول إذا جار ومال، وهو عائل، ومنه قول أبي طالب:

بميزان قسط لا يخيس شعيرة *** له شاهد من نفسه غير عائل
أي: غير مائل ولا جائر، ومنه قول الآخر:
قالوا تبعنا رسول الله وأطرحوا *** قول الرسول وعالوا في الموازين
أي: جاروا، وقول الآخر:
ثلاثة أنفس وثلاث نود *** لقد عال الزمان على عيالي
أي: جار ومال، أما قول أحيحة بن الجلاح الأنصاري:
وما يدري الفقير متى غناه *** وما يدري الغني متى يعيل
وقول جرير:

الله نزل في الكتاب فريضة *** لابن السبيل وللفقير العائل
وقوله تعالى: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}، فكل ذلك من العيلة، وهي الفقر،
ومنه قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً}، فعال التي بمعنى جار واوية العين، والتي
بمعنى افتقر يائية العين.

وقال الشافعي رحمه الله: معنى قوله: {أَلَّا تَعُولُوا}، أي: يكثر عيالكم من

١ - (٣٧١/١) (النساء/١٢٥).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز العقلي، من إطلاق الفعل على ماله به ملابسه، ويسمى مجاز إسناد، وانظر الإتيان (١٠٩/٣).

عال الرجل يعول إذا كثر عياله، وقول بعضهم: إنَّ هذا لا يصح وإنَّ المسموع أعال الرجل بصيغة الرباعي على وزن أفعل، فهو معيل إذا كثر عياله فلا وجه له ؛ لأنَّ الشافعي من أدري الناس باللغة العربية ؛ ولأنَّ عال بمعنى كثر عياله لغة حمير، ومنه قول الشاعر:

وأن الموت يأخذ كل حي *** بلا شك وإن أمشى وعالا

يعني: وإن كثرت ماشيته وعياله، وقرأ الآية طلحة بن مصرف {ألا تعيلوا} بضم التاء من أعال إذا كثر عياله على اللغة المشهورة. [(١)]
١٠- يسمى النفخ روحاً^(٢).

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - وهو يتكلم عن سبب تسمية سيدنا عيسى - عليه السلام - روحاً: [وقيل سمي روحاً بسبب نفخة سيدنا جبريل - عليه السلام - المذكورة في سورة الأنبياء، والتحريم، والعرب تسمي النفخ روحاً ؛ لأنه ريح تخرج من الروح، ومنه قول ذي الرمة:

فَقُلْتُ لَهُ أَرْفَعَهَا إِلَيْكَ وَأَحْيَاهَا *** بِرُوحِكَ وَأَقْتَتَهُ لَهَا قِيَتَةً قَدْرًا] (٣).

١١- الخفض بالمجاورة.

[الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللغة العربية، وأنه جاء في القرآن لأنه بلسان عربي مبين.

فمنه في النعت قول امرئ القيس:

كأن ثبيراً في عرائين ودقه *** كبير أناس في بجاد مزمل

بخفض «مزمل» بالمجاورة، مع أنه نعت «كبير» المرفوع بأنه خبر «كأن» وقول ذي الرمة:

تريك سنة وجه غير مقرفة *** ملساء ليس بها خال ولا ندب

إذ الرواية بخفض «غير»، كما قاله غير واحد للمجاورة، مع أنه نعت «سنة» المنصوب بالفعولية.

١- (٣٧٥/١ - ٣٧٦) (النساء/١٢٩).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو: المجاز اللفظي من باب إطلاق اللزوم على الملزوم.

٣- (٣٨٢/١) (النساء/١٧١).

ومنه في العطف قول النابغة:

لم يبق إلا أسير غير منفلت *** وموثق في حبال القد مجنوب
بخفض «موثق» لمجاورته المخفوض، مع أنه معطوف على «أسير» المرفوع
بالفاعلية.

وقول امرئ القيس:

وظل طهاة اللحم ما بين منضج *** صفيف شواءٍ أو قدير معجل
بجر «قدير» لمجاورته للمخفوض، مع أنه عطف على «صفيف» المنصوب بأنه
مفعول اسم الفاعل الذي هو «منضج» والصفيف: فعيل بمعنى مفعول وهو
المصفوف من اللحم على الجمر لينشوي، والقدير: كذلك فعيل بمعنى مفعول، وهو
المجعول في القدر من اللحم لينضج بالطبخ.

وهذا الإعراب الذي ذكرناه هو الحق، لأن الإنضاج واقع على كل من
الصفيف والقدير، فما زعمه «الصبان» في حاشيته على «الأشموني» من أن قوله
«أو قدير» معطوف على «منضج» بتقدير المضاف أي وطابخ قدير الخ ظاهر
السقوط، لأن المنضج شامل لشاوي الصفيف، وطابخ القدير. فلا حاجة إلى عطف
الطابخ على المنضج لشموله له، ولا داعي لتقدير «طابخ» محذوف.
وما ذكره العيني من أنه معطوف على «شواء»، فهو ظاهر السقوط أيضاً.
وقد رده عليه «الصبان»، لأن المعنى يصير بذلك: وصفيف قدير، والقدير لا يكون
صفيفاً.

والتحقيق: هو ما ذكرنا من الخفض بالمجاورة، وبه جزم ابن قدامة في
المغني.

ومن الخفض بالمجاورة في العطف قول زهير:

لعب الزمان بها وغيرها *** بعدي سوافي المور والقطر
بجر «القطر» لمجاورته للمخفوض مع أنه معطوف على «سوافي» المرفوع، بأنه
فاعل غير.

ومنه في التوكيد قول الشاعر:

يا صاح بلغ نوي الزوجات كلهم *** أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب

بجر «كلهم» على ما حكاه الفراء، لمجاورة المخفوض، مع أنه توكيد «نوي» المنصوب بالمفعولية.

ومن أمثله في القرآن العظيم في العطف كالأية التي نحن بصدها قوله تعالى: {وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}، على قراءة حمزة، والكسائي. ورواية المفضل عن عاصم بالجر لمجاورته لأكواب وأباريق، إلى قوله: {وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} مع أن قوله: {وَحُورٌ عَيْنٌ} حكمه الرفع: فقيل، إنه معطوف على فاعل «يطوف» الذي هو {وَلِدَانٌ مُّخَلَّنُونَ}.

وقيل: هو مرفوع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل المقام عليه.

أي: وفيها حور عين، أو لهم حور عين. وإذن فهو من العطف بحسب

المعنى.

وقد أنشد سيبويه للعطف على المعنى قول الشماخ، أو ذي الرمة:

بانت وغير آيهن مع البلا *** إلا رواكد جمرهن هباء

ومشجج أما سواء قذاله *** فبدا وغيب ساره المعزاء

لأن الرواية بنصب «رواكد» على الاستثناء، ورفع مشجج عطفاً عليه، لأن المعنى لم يبق منها إلا رواكد ومشجج، ومراده بالرواكد أثافي القدر، وبالمشجج وتد الخباء، وبه تعلم أن وجه الخفض في قراءة حمزة، والكسائي هو المجاورة للمخفوض، كما ذكرنا خلافاً لمن قال في قراءة الجر: إن العطف على أكواب، أي يطاف عليهم بأكواب، وبحور عين، ولمن قال: إنه معطوف على جنات النعيم، أي هم في جنات النعيم، وفي حورٍ على تقدير حذف مضاف أي في معاشرة حور.

ولا يخفى ما في هذين الوجهين، لأن الأول يرد، بأن الحور العين لا يطاف بهن مع الشراب، لقوله تعالى: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}.

والثاني فيه أن كونهم في جنات النعيم، وفي حور ظاهر السقوط كما ترى، وتقدير ما لا دليل عليه لا وجه له.

وأجيب عن الأول بجوابين، الأول: أن العطف فيه بحسب المعنى، لأن

المعنى: يتعمون بأكواب وفاكهة ولحم وحور. قاله الزجاج وغيره.

الجواب الثاني: أن الحور قسمان: حور مقصورات في الخيام، وحور

يطاف بهن عليهم، قاله الفخر الرازي وغيره، وهو تقسيم لا دليل عليه، ولا يعرف من صفات الحور العين كونهن يطاف بهن كالشراب، فأظهرها الخفض بالمجاورة، كما ذكرنا.

وكلام الفراء وقطرب، يدل عليه، وما رد به القول بالعطف على أكواب من كون الحور لا يطاف بهن يرد به القول بالعطف على {وَلِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ}، في قراءة الرفع، لأنه يقتضي أن الحور يطفن عليهم كالولدان، والقصر في الخيام ينافي ذلك. وممن جزم بأن خفض {وَأَرْجُلُكُمْ} لمجاورة المخفوض البيهقي في (السنن الكبرى)، فإنه قال ما نصه: باب قراءة من قرأ {وَأَرْجُلُكُمْ} نصباً، وأن الأمر رجع إلى الغسل وأن من قرأها خفضاً، فإنما هو للمجاورة، ثم ساق أسانيدَه إلى ابن عباس، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعروة بن الزبير، ومجاهد وعطاء والأعرج وعبد الله بن عمرو بن غيلان، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الفاري، وأبي محمد يعقوب بن إسحاق بن يزيد الحضرمي أنهم قرأوها كلهم: {وَأَرْجُلُكُمْ} بالنصب. قال: وبلغني عن إبراهيم بن يزيد التيمي أنه كان يقرأها نصباً، وعن عبد الله بن عامر اليحصبي، وعن عاصم برواية حفص، وعن أبي بكر بن عياش من رواية الأعشى، وعن الكسائي، كل هؤلاء نصبوها. ومن خفضها فإنما هو للمجاورة، قال الأعمش: كانوا يقرأونها بالخفض، وكانوا يغسلون، اه كلام البيهقي.

ومن أمثلة الخفض بالمجاورة في القرآن في النعت قوله تعالى {عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ} بـ {مُحِيطٍ} مع أنه نعت للعذاب. وقوله تعالى: {عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ}، ومما يدل أن النعت للعذاب، وقد خفض للمجاورة، كثرة ورود الألف في القرآن نعتاً للعذاب. وقوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} على قراءة من قرأ بـ {مَّحْفُوظٍ} كما قاله القرطبي ومن كلام العرب «هذا جحر ضب خرب» بـ {مَّحْفُوظٍ} بـ {مَّحْفُوظٍ} مع أنه نعت خبر المبتدأ. وبهذا تعلم أن دعوى كون الخفض بالمجاورة لحناً لا يتحمل إلا لضرورة الشعر باطلة. [(١)]

١٢- يطلق المسح على الغسل.

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - وهو يتكلم على الجمع بين قراءتي الخفض، والنصب في قوله تعالى: {وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} (المائدة: ٦) [وقال بعض العلماء: المراد بمسح الرجلين غسلهما: والعرب تطلق المسح على الغسل أيضاً، وتقول: تَمَسَّحْتُ بمعنى تَوَضَّأْتُ، ومسح المطر الأرض أي غسلها، ومسح الله ما بك أي غسل عنك الذنوب والأذى. (١)]

١٣- رَبِّمَا اسْتَعْمَلَ التَّحْرِيرَ فِي الْإِخْرَاجِ مِنَ الْأَسْرِ وَالْمَشَقَّاتِ، وَتَعَبِ الدُّنْيَا وَنَحْوِ ذَلِكَ.

[قوله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً}، والمراد بالتحريم الإخراج من الرق، وربما استعملته العرب في الإخراج من الأسر والمشقات، وتعب الدنيا ونحو ذلك، ومنه قول والدة مريم {إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} أي من تعب أعمال الدنيا، ومنه قول الفرزدق همام بن غالب التميمي:

أبني غدانة إني حررتكم *** فوهبتكم لعطية بن جعال

يعني حررتكم من الهجاء، فلا أهجوكم. [(٢)]

١٤- إطلاق شيطان على المتمرّد (٣).

[اللسان العربي الذي نزل به القرآن يطلق اسم الشيطان على كل عات متمرّد من الجن، والإنس، والدواب، ومنه قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}، وقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «الكلب الأسود شيطان» (٤) وقول جرير:

١- (١٣/٢) (المائدة/٦).

٢- (١١٤/٢) (المائدة/٨٩).

٣- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق المصدر أو شبهه على اسم الفاعل، ومثله له أيضاً بقوله تعالى: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي} (الشعراء: ٧٧)، أي معادون، وانظر الإتقان (١١٦/٣)، وأسرار البيان (ص/١١١).

٤- أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه (٣٦٥/١) (٥١٠).

أيام يدعونني الشيطان من غزلي *** وكن يهوينني إذ كنت شيطانا [(١)].
١٥ - يطلق المجموع مراداً بعضه.

[قال بعض العلماء: {رُسِلَ مَنَّكُمْ} (٢) أي من مجموعكم الصادق بخصوص
الإنس: لأنه لا رسل من الجن، ويستأنس لهذا القول بأن القرآن ربما أطلق فيه
المجموع مراداً بعضه، كقوله: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}، وقوله: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}،
مع أن العاقر واحد منهم، كما بينه بقوله: {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}. (٣).
وقال أيضاً [من أساليب العربية إسناد الفعل إلى المجموع، مع أن
فاعله بعضهم لا جميعهم. ومن أظهر الأدلة القرآنية في ذلك قراءة حمزة والكسائي
{فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} من القتل في الفعلين، أي فإن قتلوا بعضكم فليقتلهم بعضكم
الآخر كما تقدم مراراً. ومن أظهر الشواهد العربية في ذلك قول الفرزدق:

فسيف بني عبس وقد ضربوا به *** نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
فقد أسند الضرب إلى بني عبس، مع أنه صرح بأن الضارب الذي بيده السيف هو
ورقاء وهو ابن زهير بن جزيمة العبسي. وخالد هو ابن جعفر الكلابي. وقصة قتله
لزهير المذكور مشهورة. [(٤)].

١٦ - يطلق لا شيء على ما لا نفع فيه.

[ومن المعلوم أن العرب تطلق لا شيء على ما لا نفع فيه. ألا ترى أن

١ - (١٠٩/٣) (الحجر/ ١٧ - ١٨)، وانظر: (١٨٦/٢) (الأنعام/ ١١٢).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز مفرد، ويسمى اللغوي، من إطلاق الفعل على
شيين أو أكثر، وهو لأحدهم، مثلوا له أيضاً بقوله تعالى: {نَسِيًا خُوتَهُمَا} (الكهف: ٦١)، مع
أن الناسي هو الغلام فقط كما هو معلوم، وانظر الإتيان (١١٧/٣)، وفيه أيضاً مجاز مرسل
علاقته كلية، حيث أطلق الكل، وأراد البعض، وانظر أسرار البيان (ص/ ١٢٢)، والإتيان
(١١١/٣ - ١١٢).

٣ - (١٨٨/٢) (الأنعام/ ١٣٠)، وانظر أيضاً: (١١١/٣) (الحجر/ ١٧، ١٨)، (١٧٠/٤) (الكهف/ ٦١)، (٢٣١/٤) (مريم/ ٧)، (٧٢٤/٧) (القمر/ ٢٩)، ...

٤ - (٣٧٠/٤) (مريم/ ٦٧)، وانظر أيضاً: (٢٥٩/٧) (الزخرف/ ٥٧، ٥٨)، (٦٧١/٧) -
(٦٧٢) (الذاريات/ ٥٦).

الله يقول في المنافقين: {صُمُّ بَكْمٌ عُمَى}، مع أنه يقول فيهم: {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ}، ويقول فيهم: {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ} أي لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم. ويقول فيهم: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} وما نلك إلا لأن الكلام ونحوه الذي لا فائدة فيه كلا شيء: فيصدق على صاحبه أنه أعمى وأصم وأبكم، ومن ذلك قول قعنب بن أم صاحب:

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرْتُ بِهِ *** وَإِنْ ذَكَرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَنْوَا

وقول الآخر:

أَصَمُّ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ *** وَأَسْمَعُ خَلْقَ اللَّهِ حِينَ أُرِيدُ

وقول الآخر:

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمَنْ كَذَبَ *** حَلْمِي أَصَمٌ وَأَنْزِي غَيْرَ صَمَاءَ

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب من إطلاق الصمم على السماع الذي لا فائدة فيه. وكذلك الكلام الذي لا فائدة فيه، والرؤية التي لا فائدة فيها. [(١)]

١٧ - القرابة إذا كانت قرابة نسب تعين التأنيث فيها، وإن كانت قرابة مسافة جاز التذكير والتأنيث.

[من أساليب اللغة العربية أن القرابة إذا كانت قرابة نسب تعين التأنيث فيها في الأنثى فنقول: هذا المرأة قريبتى أي في النسب ولا نقول: قريب منى. وإن كانت قرابة مسافة جاز التذكير والتأنيث. فنقول: داره قريب وقريبة منى، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}، وقوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} وقول امرئ القيس:

لَهُ الْوَيْلُ إِنْ أَمْسَى وَلَا أُمَّ هَاشِمٍ *** قَرِيبٌ وَلَا الْبَسْبَاسَةَ ابْنَةَ يَشْكُرًا [(٢)]

١٨ - يطلق اسم الفيء على الغنيمة.

قال بعض العلماء: إن الغنيمة والفيء واحد، فجميع ما أخذ من الكفار على أي وجه كان غنيمة وفيء، وهذا قول قتادة رحمه الله وهو المعروف في اللغة،

١ - (٤/٥٩٨-٥٩٩) (طه/١٢٤)، وانظر أيضاً: (٢/٢٥٧) (الأعراف/٢)، (٣/٣٠٠) (النحل/٨٤)،

(٦/٤٢١) (النمل/٨٠).

٢ - (٢/٢٨٨) (الأعراف/٥٦).

فالعرب تطلق اسم الفيء على الغنيمة، ومنه قول مهلهل بن ربيعة التغلبي:

فلا وأبي جلييلة ما أفأنا *** من النعم المؤبل من بعير
ولكننا نهكنا القوم ضرباً *** على الأثباج منهم والنحور

يعني أنهم لم يشتغلوا بسوق الغنائم ولكن بقتل الرجال فقوله: أفأنا: يعني غنماً، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: {وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ}، لأن ظاهر هذه الآية الكريمة شمول ذلك لجميع المسيبات ولو كن منتزعات قهراً، ولكن الاصطلاح المشهور عند العلماء هو ما قدمنا من الفرق بينهما، وتدل له آية الحشر المتقدمة-أي قوله تعالى: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} - [(١)] .

١٩- يطلق الحرف الواحد من الكلمة، ويراد به جميع الكلمة.

[العرب قد تطلق الحرف الواحد من الكلمة، وتريد به جميع الكلمة

كقول الراجز:

قلت لها قفي فقالت لي قاف *** لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

فقوله: «قاف» أي وقفت. وقول الآخر:

بالخير خيرات وإن شراً فإ *** ولا أريد الشر إلا أن تا

يعني: وإن شراً فشر، ولا أريد الشر إلا أن تشاء. فاكثفى بالفاء والتاء عن

بقية الكلمتين.

قال القرطبي: وفي الحديث «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة»

الحديث (٢). قال سفيان: هو أن يقول في أقتل: أ ق. [(٣)] .

١- (٣١٦/٢)(الأفعال/٤١).

٢- أخرجه ابن ماجه (٨٧٤/٢)(٢٦٢٠) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، وقال

البوصيري في الزوائد في إسناده يزيد بن أبي زياد بالغوا في تضعيفه حتى قيل كأنه حديث

موضوع، وقال الشيخ الألباني: ضعيف جداً.

٣- (٤/٣ - ٥)(هود/١).

٢٠- عادة العرب قولهم: لا أستطيع أن أسمع كذا، إذا كان شديد الكراهية، والبغض له^(١).

[قوله تعالى: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ}...المعنى ما كانوا يستطيعون السمع أي لشدة كراهيتهم لكلام الرسل على عادة العرب في قولهم: لا أستطيع أن أسمع كذا إذا كان شديد الكراهية والبغض له ويشهد لهذا القول قوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا} وقوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ} وقوله {وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}.]^(٢).

٢١- الضلال يطلق بمعنى: الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وبمعنى: الضلال بمعنى الهلاك والغيبة والاضمحلال، وبمعنى: الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابقة للواقع.

[وقد قدمنا أن الضلال يطلق في القرآن واللغة العربية ثلاثة إطلاقات:

الأول: الضلال بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل. كالذهاب عن الإسلام إلى الكفر. وهذا أكثر استعمالاته في القرآن. ومنه قوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، وقوله: {وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}.

الثاني: الضلال بمعنى الهلاك والغيبة والاضمحلال، ومنه قول العرب: ضل السمن في الطعام إذا استهلك فيه وغاب فيه. ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} أي غاب واضمحل، وقوله هنا: {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ} أي بطل

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق المسبب على السبب أي أنهم بسبب شدة كرايتهم، وبغضهم للحق ما كانوا يستطيعون سماعه، ومثل له السيوطي أيضاً بقوله تعالى: { وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا } {غافر: ١٣}، وقوله: { قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا } {الأعراف: ٢٦}، أي مطراً يتسبب عنه الرزق، واللباس، وقوله تعالى: { لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا } {النور: ٣٣} أي مؤنة من مهر، ونفقة، وما لا بد للمتزوج منه. وانظر الإتيان (١١٣/٣)، وأسرار البيان (ص/١٢١).

٢- (١٥/٣) (هود/٢٠).

واضح، وقول الشاعر:

ألم تسأل فتخبرك الديار *** عن الحي المضلل أين ساروا
أي عن الحي الذي غاب وضح، ومن هنا سمي الدفن إضلالاً؛ لأن مآل
الميت المدفون إلى أن تختلط عظامه بالأرض، فيضل فيها كما يضل السمن في
الطعام. ومن إطلاق الضلال على الدفن قول نابغه ذبيان:

فآب مضلوه بعين جلية *** وغودو بالجولان حزم ونائل

فقوله «مضلوه» يعني دافنيه في قبره.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: {وَقَالُوا أَعَدَّا ضَلَّانًا فِي الْأَرْضِ أَعِنَّا لَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ}. فمعنى {ضَلَّانًا فِي الْأَرْضِ} أنهم اختلطت عظامهم الرميم بها لغابت
واستهلكت فيها.

الثالث: الضلال بمعنى الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابقة للواقع، ومنه
بهذا المعنى قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} أي ذاهباً عما تعلمه الآن من العلوم
والمعارف التي لا تعرف إلا بالوحي فهذا إلى تلك العلوم والمعارف بالوحي.
وحدد هذا المعنى قوله تعالى عن أولاد يعقوب: {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ}
أي ذهابك عن العلم بحقيقة أمر يوسف، ومن أجل ذلك تطمع في رجوعه إليك،
وذلك لا طمع فيه على أظهر التفسيرات وقوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَأَمْرَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا} أي نذهب عن حقيقة علم
المشهود به بنسيان أو نحوه، بدليل قوله {فَتَنَكَّرَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَى}، وقوله تعالى:
{قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} ومن هذا المعنى قول
الشاعر:

وتظن سلمى أنثى أبغى بها *** بدلاً أراها في الضلال تهيم

فقوله «أراها في الضلال» أي الذهاب عن علم حقيقة الأمر حيث تظنني أبغى بها
بدلاً، والواقع بخلاف ذلك [(١)].

١- (٤/٢٠٩: ٢١١) (الكهف/١٠٣: ١٠٥)، وانظر (٤٨: ٤٦/٣) (يوسف/٨)، (٣٧١/٦: ٣٧٣)

(الشعراء/٢٠).

٢٢- يطلق الهم ويراد به المحبة والشهوة.

[العرب تطلق الهم وتريد به المحبة والشهوة، فيقول الإنسان فيما لا يحبه ولا يشتهي: هذا ما يهمني، ويقول فيما يحبه ويشتهي: هذا أهم الأشياء إلي]^(١).

٢٣- إذا كان المحكوم عليه غير موجود فيعلم منه انتفاء الحكم عليه بذلك الأمر الموجودي.

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - عند قوله تعالى: { اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا } (الرعد: ٢) مرجحاً أن السماء لا عمد لها: [وهذا القول يدل عليه تصريحه تعالى في سورة «الحج» أنه هو الذي يمسكها أن تقع على الأرض في قوله: { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ }. قال ابن كثير: فعلى هذا يكون قوله: { تَرَوْنَهَا } تأكيداً لنفي ذلك، أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها كذلك، وهذا هو الأكمل في القدرة اهـ.

قال مقيده عفا الله عنه: الظاهر أن هذا القول من قبيل السالبة لا تقتضي وجود الموضوع، والمراد أن المقصود نفي اتصاف المحكوم عليه بالمحكوم به، وذلك صادق بصورتين:

الأولى: أن يكون المحكوم عليه موجوداً، ولكن المحكوم به منتف عن كقولك ليس الإنسان بحجر، فالإنسان موجود والحجرية منتفية عنه.

الثانية: أن يكون المحكوم عليه غير موجود فيعلم منه انتفاء الحكم عليه بذلك الأمر الموجودي، وهذا النوع من أساليب اللغة العربية، ومثاله في اللغة قول امرئ القيس:

على لا حب لا يهتدي بمناره *** إذا سافه العود النباطي جرجوا
أي لا منار له أصلاً حتى يهتدي به، وقوله:
لا تفزع الأرنب أهوالها *** ولا ترى الضب بها ينجر
يعني لا أرنب فيها ولا ضباب. وعلى هذا فقوله { بغيرِ عمدٍ تَرَوْنَهَا } أي: لا عمد لها حتى تروها^(٢).

١- (٥٢/٣) (يوسف/٢٤).

٢- (٦٨/٣) (الرعد/٢)، وانظر أيضاً (٦٥٩/٦) (يس/٢٣-٢٤).

٢٤- " وراء " تطلق بمعنى: أمام^(١).

[قوله تعالى: {مَنْ وَرَاءَهُ جَهَنَّمُ} وراء هنا بمعنى أمام كما هو ظاهر. ويدل له إطلاق وراء بمعنى إمام في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} أي أمامهم ملك. وكان ابن عباس يقرؤها: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، ومن إطلاق وراء بمعنى أمام في كلام العرب قول لبيد:

أليس ورائي إن تراخت منيتي *** لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
وقول الآخر:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي *** وقومي تميم والفلاة ورائيا
وقوله الآخر:

ومن ورائك يوم أنت بالغه *** لا حاضر معجز عنه ولا باد
فوراء بمعنى أمام في الأبيات.

وقال بعض العلماء. ومعنى من ورائه جهنم، أي من بعد هلاكه جهنم، وعليه فوراء في الآية بمعنى بعد، ومن إطلاق وراء بمعنى بعد قول النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *** وليس وراء الله للمرء مذهب

أي ليس بعد الله مذهب، قاله القرطبي. والأول هو الظاهر وهو الحق [(٢).

٢٥- الغلام يطلق على العبد، وعلى الصغير الذي لم يبلغ، وعلى الرجل البالغ^(٣)، وربما قالوا للأثني غلامه.

[الغلام يطلق في لغة العرب على العبد، وعلى الصغير الذي لم يبلغ، وعلى

الرجل البالغ.

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق الشيء، وإرادة ضده، وانظر الإتيان (١١٥/٣).

٢ - (٩٦/٣) (إبراهيم/١٦).

٣ - إطلاق الغلام على الرجل البالغ فيه عند القائلين بالمجاز مجاز مفرد، وعلاقته: اعتبار ما كان، أي الذي كان غلاماً، ومثلوا له أيضاً بقوله تعالى: { وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ } (النساء: ٢) أي الذين كانوا يتامى، وانظر الإتيان (١١٣/٣)، وأسرار البيان (ص/١١٩).

ومن إطلاقه على البالغ قول علي رضي الله يوم النهروان:
أنا الغلام القرشي المؤتمن *** أبو حسين فاعلمن والحسن
وقول صفوان بن المعطل السلمي لحسان رضي الله عنهما:
تلق ذباب السيف عني فإنني *** غلام إذا هوجيت لست بشاعر
وقول ليلي الأخيلية تمدح الحجاج بن يوسف:
إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة *** تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها *** غلام إذا هز القناة سقاها
وربما قالوا للأنتى غلامه ومنه قول أوس بن غفاء الهجيمي يصف فرساً:
ومركضة صريحي أبوها *** يهان لها الغلام والغلام [(١)].
٢٦- صدعت الشيء: أظهرته.

[قوله: {فَاصْدَعْ} قال بعض العلماء: أصله من الصدع بمعنى الإظهار،
ومنه قولهم: انصدع الصبح: انشق عنه الليل. والصديع: الفجر لانصداعه، ومنه
قول عمرو بن معد يكرب:

ترى السرحان مفترشاً يديه *** كأن بياض لبتة صديع
أي فجر والمعنى على هذا القول: أظهر ما تؤمر به وبلغه علناً على رؤوس
الأشهاد وتقول العرب:

صدعت الشيء: أظهرته. ومنه قول أبي ذؤيب:
وكأنهن ربابة وكأنه *** يسر يفيض على القداح ويصدع
قاله صاحب اللسان [(٢)].

٢٧- يطلق اسم الشجر على كل ما تنبته الأرض من المرعى (٣).

١- (١٣٥/٣ - ١٣٦) (الحجر/٥٣).

٢- (١٨١/٣) (الحجر/٩٤).

٣- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، فالأرض تنبت
الشجر بجميع أنواعه، فإذا أطلق الشجر على كل ما تنبته الأرض يكون من باب إطلاق
الخاص على العام، ومثلوا له بقوله تعالى: { إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء: ١٦) أي:
رسله. وانظر الإتيان (١١٢/٣).

٢٨- يقال: سامت المواشي، إذا رعت في المرعى الذي ينبتة الله بالمطر. وأسامها صاحبها: أي رعاها فيه.

[قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} (١) أي ترعون مواشيك السائمة

في ذلك الشجر الذي هو المرعى. والعرب تطلق اسم الشجر على كل ما تنبتة الأرض من المرعى. ومنه قول النمر بن تولب العكلي:

إنا أتيناك وقد طال السفر *** نقود خيلا ضمرا فيها صعر

نطعمها اللحم إذا عز الشجر

والعرب تقول: سامت المواشي إذا رعت في المرعى الذي ينبتة الله بالمطر. وأسامها صاحبها: أي رعاها فيه، ومنه قول الشاعر:

مثل ابن بزعة أو كآخر مثله *** أولى لك ابن مسيمة الأجمال

يعني يا ابن راعية الجمال التي تسيماها في المرعى] (٢).

٢٩- يذكر وصف الأنثى باعتبار الشخص، وكذلك لا مانع من تأنيث صفة الذكر باعتبار النسمة أو النفس (٣).

١ - ونوع المجاز في هذه الآية عند القائلين به هو المجاز في التركيب، ويسمى مجاز الإسناد، والمجاز العقلي، فقد أسند الفعل لعاقل، مع أن الأنعام هي التي تسوم، والعلاقة هنا الملابس؛ لأن الناس متلبسون بالفعل، فهم الذين يسيمون أنعامهم، وانظر الإتيان (٣/١٠٩).

٢ - (٣/٢٠٤-٢٠٥) (النحل/١٠).

٣ - وتذكير المؤنث على تأويله بمذكر، أو تأنيث المذكر، فيه عند القائلين بالمجاز مجاز مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إقامة صيغة مقام أخرى، وقد مثل له السيوطي بأمتلة كثيرة، وانظر الإتيان (٣/١٢٠ - ١٢١). وقال الثعالبي في سر العربية (ص/٣٥٩): [فصل في حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر: من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ وحمله على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس والنفس مؤنثة وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص. قال الشاعر:

ما عندنا إلا ثلاثة أنفس ... مثلُ النجوم تلالأتُ في الحنيسِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

فكان مجنّي دون ما كنتُ أتقي ... ثلاثُ شُخوصِ كاعبانٍ ومُعصرِ

[قال مقيداً عفا الله عنه وغفر له: أظهر القولين عندي فيمن قال لذكر: يا زانية بصيغة التانيث، أو قال لامرأة: يا زاني بصيغة التذكير، أنه يلزمه الحد. وإيضاحه أن القاذف بالعبارتين المذكورتين لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون عامياً لا يعرف العربية، أو يكون له علم باللغة العربية، فإن كان عامياً فقد يكون غير عالم بالفرق بين العبارتين، ونداؤه للشخص بلفظ الزنى ظاهر في قصده قذفه، وإن كان عالماً باللغة، فاللغة يكثر فيها إطلاق وصف الذكر على الأنثى باعتبار كونها شخصاً.

وقد قدّمنا بعض أمثلة ذلك في سورة «النحل»^(١)، في الكلام على قوله: {وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبِيَّةً تَلْبَسُوهَا}، ومما ذكرنا من الشواهد هناك قول حسان رضي الله عنه:

منع النوم بالعشاء الهموم * * * وخيال إذا تغار النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه * * * سقم فهو داخل مكتوم

فحمل ذلك على أنهن نساء . وقال الأعشى :

لِقَوْمٍ وَكَانُوا هُمُ الْمُنْفِدِينَ ... شَرِبَهُمْ قَبْلَ تَتَفَادِيهَا

فأنث الشراب لما كان الخمر المعني وهي مؤنثة كما ذكر الكف وهي مؤنثة في قوله :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما ... يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا

فحمل الكلام على العضو وهو منكر . وكما قال الآخر :

يا أيها الرَّاكِبُ المُرْجِي مَطِيَّتَهُ ... سائِلُنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

أي ما هذه الجبّة . وقال آخر :

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيْئِبِي عَلَيْهِمَا ... مَلِيئَانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَانِي

خَلِيلِي أَمَا لَمْ عَمَرُوا فَوَاحِدٍ ... وَأَمَّا عَنِ الثَّانِي فَلَا تَسْلَانِي

فحمل المعنى على الإنسان أو على الشخص . وفي القرآن : " وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا " والسَّعِيرُ مذكر ثم قال : " إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ " فحمله على النار فأنثه وقال عز اسمه : " فَأَحْبَبْنَا بِهِ بَلَدَهُ مِيثًا " ولم يقل ميثة لأنه حمله على المكان . وقال جل ثناؤه : " السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ " فذكر السماء وهي مؤنثة لأنه حمل الكلام على السقف وكل ما علاك وأظلك فهو سماء والله أعلم].

١- (٢٢٣/٣)(النحل/١٣).

ومراده بالحبیب أنثى، بدلیل قوله بعده:

لم تفتها شمس النهار بشيء ***
غير أن الشباب ليس يدوم
وقول كثير:

لئن كان يرد الماء هيمان صادقاً ***
إلى حبيباً إنها لحبیب
ومن أمثلة ذلك قول مليح بن الحكم الهذلي:

ولكن ليلى أهلكتي بقولها ***
نعم ثم ليلى الماطل المتبلح
يعني ليلى الشخص الماطل المتبلح.

وقول عروة بن حزام العذري:

وعفراء أرجى الناس عندي مودّة ***
وعفراء عني المعرض المتواني
أي: الشخص المعرض.

وإذا كثّر في كلام العرب تذكير وصف الأنثى باعتبار الشخص كما رأيت
أمثله، فذلك لا مانع من تأنيثهم صفة الذكر باعتبار النسمة أو النفس، وورود ذلك
لتأنيث اللفظ مع تذكير المعنى معروف؛ كقوله:

أبوك خليفة ولدته أخرى ***
وأنت خليفة ذاك الكمال [(١)].

٣٠- الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع^(٢)، وأنه إن أطلق على الواحد نكر،
وإن أطلق على الجمع أنث.

١- (١١٢/٦ - ١١٣) (النور/٤، ٥).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز اللفظي، فإذا أطلقت على الواحد فهو من باب:
إطلاق الجمع على المفرد، ومثلوا له أيضاً بقوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ } (المؤمنون: ٩٩)، أي: أرجعني، وإذا أطلقت وأريد بها الجمع فيكون من باب: إطلاق
المفرد على الجمع، ومثلوا له أيضاً بقوله تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } (العصر: ٢)، أي:
الإناسي. وانظر الإتيان (١١٧/٣ - ١١٨). وقال الثعالبي في سر العربية (ص/٣٦٢): [فصل
فيما يقع على الواحد والجمع: من ذلك الفلك قال الله تعالى: " في الفلك المشحون " فلما جمعه
قال: " والفلك التي تجري في البحر ". ومن ذلك قولهم: رَجُلٌ جُنُبٌ وَرِجَالٌ جُنُبٌ وَفِي الْقُرْآنِ:
" وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ". ومن ذلك العدو. قال تعالى: " فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ "
وقال: " وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ ". ومن ذلك الضيف: قال الله عز وجل: " هُوَ
لَا تَقْضِيهِ فَلَاقِقُونَ "].

[قوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: { وَتَرَى الْفُلْكَ } أي السفن. وقد دل القرآن على أن " الفلك " يطلق على الواحد وعلى الجمع، وأنه إن أطلق على الواحد ذكر، وإن أطلق على الجمع أنث. فأطلقه على المفرد منكراً في قوله: { وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } . وأطلقه على الجمع مؤنثاً في قوله: { وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ } (١). [٢].

٣١ - يطلق الوصوب على الدوام.

[قوله تعالى: ﴿ وَكَهَّ الدَّيْنُ وَاصِباً ﴾... ونظير هذه الآية المذكورة قوله: { وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ } أي دائم. وقيل: عذاب «وجمع مؤلم» والعرب تطلق الوصب على المرض، وتطلق الوصوب على الدوام. وروي عن ابن عباس أنه لما سأله نافع بن الأزرق عن قوله تعالى: { وَكَهَّ الدَّيْنُ وَاصِباً } قال له: الوصب الدائم، واستشهد له بقول أمية بن أبي الصلت النقيي:

وله الدين واصباً وله المل *** ك وحمد له على كل حال
ومنه قول الدؤلي:

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه *** يوماً بنم الدهر أجمع واصباً
وممن قال بأن معنى الواصب في هذه الآية الدائم: ابن عباس ومجاهد، وعكرمة وميمون بن مهران، والسدي وقتادة، والحسن والضحاك، وغيرهم [٣].

٣٢ - البشارة تطلق على الخبر مما يسر، وبما يسوء.

[البشارة: الخبر بما يسر. وقد تطلق العرب البشارة على الإخبار بما يسوء، ومنه قوله تعالى: { فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } ومنه قول الشاعر:

وبشرنتي يا سعد أن أحبتي *** جفوني وقالوا الود موعده الحشر
وقول الآخر:

يبشرني الغراب ببين أهلي *** فقلت له تكلتك من بشير

١ - وقد ورد ذلك في أشعار العرب، قال أمية بن أبي الصلت:

قِيلَ فَاهْبِطْ فَقَدْ تَنَاهَتْ بِكَ الْفُلْكَ عَلَى *** رَأْسِ شَاهِقٍ مِرْسَاهِ
٢- (٢٢٨/٣ - ٢٢٩) (النحل/٤)، وانظر (٣٧٨/٦) (الشعراء/١١٩).

٣- (٢٥٥/٣) (النحل/٥٢).

والتحقيق: أن إطلاق البشارة على الإخبار بما يسوء، أسلوب من أساليب اللغة العربية. ومعلوم أن علماء البلاغة يجعلون مثل ذلك مجازاً، ويسمونه استعارة عنادية، ويقسمونها إلى تهكمية وتمليحية كما هو معروف في محله [(١)].

وقال أيضاً: [والبشارة تطلق في العربية على الخبر مما يسر، وبما يسوء. ومن إطلاقها على الخبر بما يسوء قوله هنا: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ}، ونظيره قوله تعالى: {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، ونحو ذلك من الآيات.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من بغضهم للبنات مشهور معروف في أشعارهم.

ولما خطبت إلى عقيل بن علفة المري ابنته الجرباء قال:

أني وإن سيق إلى المهر *** ألف وعبدان وذود عشر

أحب أصهاري إلى القبر

ويروى لعبد الله بن طاهر قوله:

لكل أبي بنت يراعى شؤونها *** ثلاثة أصهار إذا حمد الصهر

فبعل يراعيها وخدر يكتها *** وقبر يواربها وخيرهم القبر

وهم يزعمون أن موجب رغبتهم في موتهن، وشدة كراهيتهم لولادتهن: الخوف من العار، وتزوج غير الأكفاء، وأن تهان بناتهن بعد موتهم. كما قال الشاعر في ابنة له تسمى مودة:

مودة تهوى عمر شيخ يسره *** لها الموت قبل الليل لو أنها تدري

يخاف عليها جفوة الناس بعده *** ولا ختن يرجى أود من القبر... [(٢)].

٣٣- لفظة «جعل» تأتي لأربعة معان: اعتقد، صير، خلق، شرع.

[لفظة «جعل» تأتي في اللغة العربية لأربعة معان:

الأول بمعنى اعتقد؛ كقوله تعالى هنا: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ} قال في

الخلاصة: وجعل اللذ كاعتقد.

١- (٩/٤) (الكهف/١: ٥)، وانظر أيضاً (٣٤٢/٧) (الجنائفة/٦: ٨).

٢- (٣/٢٦١ - ٢٦٢) (النحل / ٥٧ : ٥٩).

الثاني بمعنى صير ؛ كما تقدم في الحجر . كقوله : { وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا } .
قال في الخلاصة :

.. والتي كصيرا *** وأيضاً بها انصب مبتدأ وخيرا
الثالث بمعنى خلق ؛ كقوله : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } أي خلق الظلمات والنور .

الرابع بمعنى شرع ؛ كقوله :
وقد جعلت إذا ما قمت يتقلني *** ثوبي فأنهض نهض الشارب السكر
قال في الخلاصة :

كأنشأ السائق يحدو وطفق *** كذا جعلت وأخذت وعلق [(١)] .
٣٤- رجوع الضمير إلى غير مذكور يدل عليه المقام .

[قوله : { مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ } الضمير في «عليها» راجع إلى غير مذكور
وهو الأرض ؛ لأن قوله { مِنْ دَابَّةٍ } يدل عليه ؛ لأن من المعلوم : أن الدواب إنما تدب
على الأرض . ونظيره قوله تعالى : { مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ } ، وقوله : { حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ } أي الشمس ، ولم يجر لها ذكر ، ورجوع الضمير إلى غير مذكور
يدل عليه المقام كثير في كلام العرب . ومنه قول حميد بن ثور :

وصهباء منها كالسفيينة نضجت *** به الحمل حتى زاد شهراً عديدها
فقوله «صهباء منها» أي من الإبل ، وتدل له قرينة «كالسفيينة» مع أن الإبل لم
يجر لها ذكر ، ومنه أيضاً قول حاتم الطائي :

أماوى ما يغني الثراء عن الفتى *** إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فقوله «حشرجت وضاق بها» يعني النفس ، ولم يجر لها ذكر . كما تدل له قرينة
«وضاق بها الصدر» . ومنه أيضاً لبيد في معلقته :

حتى إذا ألفت يداً في كافر *** وأجن عورات الثغور ظلامها
فقوله «ألفت» أي الشمس ، ولم يجر لها ذكر ، ولكن يدل له قوله : وأجن
عورات الثغور ظلامها

١- (٣/٢٦٢ - ٢٦٣) (النحل / ٥٧ : ٥٩) .

لأن قوله: «أَلَقْتُ يَدًا فِي كَافِرٍ» أي دخلت في الظلام. ومنه أيضاً قول طرفة في معلقته:

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي *** ألا ليبتني أفديك منها وأفتدي
فقوله: «أفديك منها» أي الفلاة، ولم يجر لها ذكر، ولكن قرينة سياق الكلام تدل
عليها^(١).

٣٥- تطلق المفاعلة بمعنى الفعل المجرد.

[وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة - أي قوله تعالى: {وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ
بِظُلْمِهِمْ}-: {يُؤَاخِذُ} الظاهر أن المفاعلة فيه بمعنى الفعل المجرد. فمعنى آخذ الناس
يؤاخذهم: أخذهم بنوبهم؛ لأن المفاعلة تقتضي الطرفين. ومجيئها بمعنى المجرد
مسموع نحو: سافر وعافى. وقوله «يؤاخذ» إن قلنا إن المضارع فيه بمعنى
الماضي فلا إشكال. وإن قلنا: إنه بمعنى الاستقبال فهو على إيلاء لو المستقبل وهو
قليل. كقوله: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ}، وقول
قيس بن الملوح:

ولو تلتقي أصدائنا بعد موتنا *** ومن دون رمسينا من الأرض سيسب
لظل صدى صوتي وإن كنت رمة *** لصوت صدى ليلى يهش ويطرب
والجواب بحمله على المضي في الآية تكلف ظاهر، ولا يمكن بتاتاً في البيتين،
وأمثله كثيرة في القرآن وفي كلام العرب. وقد أشار لذلك في الخلاصة بقوله:
لو حرف شرط في مضي ويقل *** إيلاؤها مستقبلاً لكن قبل [٢].
٣٦- يطلق المصدر ويراد الاسم^(٣).

[قوله تعالى: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا

١ - (٣/٢٦٥ - ٢٦٦)(النحل / ٦١).

٢ - (٣/٢٦٦)(النحل/٦١).

٣ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إحلال
صيغة محل أخرى، قالوا: ومنه أيضاً: إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، أو اسم المفعول،
كقوله تعالى: { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي } (الشعراء: ٧٧)، أي: معادون، وقوله: { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِنْ عِلْمِهِ } (البقرة: ٢٥٥)، أي: من معلومه، وانظر الإتيان (٣/١١٦).

حَسَنًا}. جمهور العلماء على أن المراد بالسكر في هذه الآية الكريمة: الخمر، لأن العرب تطلق اسم السكر على ما يحصل به السكر، من إطلاق المصدر وإرادة الاسم. والعرب تقول: سكر «بالكسر» سكرًا «بفتحين» وسكرًا «بضم فسكون». وقال الزمخشري في الكشاف: والسكر: الخمر. سميت بالمصدر من سكر سكرًا وسكرًا، نحو رشد رشداً ورشداً. قال:

وجاعونا بهم سكر علينا *** فأجلى اليوم والسكران صاحي اهـ

ومن إطلاق السكر على الخمر قول الشاعر:

بئس الصحة وبئس الشرب شربهم *** إذا جرى فيهم المزاء والسكر

وممن قال: بأن السكر في الآية الخمر: ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وأبو رزين، والحسن، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وابن أبي ليلي، والكلبي، وابن جبير، وأبو ثور، وغيرهم [(١)].

٣٧- يطلق الإيحاء على الإعلام بالشيء في خفية. ولذا تطلقه العرب على الإشارة، وعلى الكتابة، وعلى الإلهام.

[الوحي في لغة العرب يطلق على كل إلقاء في سرعة وخفاء؛ ولذلك أطلق على الإلهام، كما في قوله تعالى: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}. وعلى الإشارة كما هو الظاهر في قوله تعالى: {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا}. ويطلق على الكتابة كما هو القول الآخر في هذه الآية الكريمة - أي قوله تعالى: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } - وإطلاق الوحي على الكتابة مشهور في كلام العرب، ومنه قول ليبيد بن ربيعة في معلقته:

فمدافع الريان عرى رسمها *** خلقا كما ضمن الوحي سلامها

فقوله «الوحي» بضم الواو وكسر الحاء وتشديد الياء، جمع وحي بمعنى الكتابة. وقول عنتره:

كوحى صحائف من عهد كسرى *** فأهداها لأعجم طمطمى

وقول ذي الرمة:

١- (٣/٢٧٩)(النحل/٦٧).

سوى الأربع الدهم اللواتي كأنها *** بقية بطرحى في ون الصحائف
وقول جرير:

كأن أخوا الكتاب يخط وحيًا *** بكاف في منازلها ولام [(١)] .

٣٨- حذف الإرادة لدلالة المقام عليه (٢) .

[قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}. أظهر القولين في هذه الآية الكريمة: أن الكلام على حذف الإرادة. أي فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله.. الآية. وليس المراد أنه إذا قرأ القرآن وفرغ من قراءته استعذ بالله من الشيطان كما يفهم من ظاهر الآية، وذهب إليه بعض أهل العلم. والسبيل على ما ذكرنا تكرر حذف الإرادة في القرآن وفي كلام العرب لدلالة المقام عليها. كقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، أَيْ أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ إِلَيْهَا كَمَا هُوَ ظَاهِر. وقوله: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ}. أي إذ أردتم أن تتناجوا فلا تتناجوا بالإثم. لأن النهي إنما هو عن أمر مستقبل يراد فعله، ولا يصح النهي عن فعل مضى وانقضى كما هو واضح [(٣)] .

٣٩- يطلق اللسان ويراد به الكلام، فيؤنث، ويذكر (٤) .

[العرب تطلق اللسان وتريد به الكلام. فتؤنثها وتذكرها. ومنه قول أعشى

باهلة:

إني أنتني لسان لا أسر بها *** من علو لا عجب فيها ولا سخر
وقول الآخر:

لسان الشر تهديها إلينا *** وخنث وما حسبتك أن تخونا
وقول الآخر:

١- (٢٣٧/٤) (مريم / ١٠)، وانظر أيضاً: (٢٨٥/٣) (النحل/٦٨).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق الفعل، والمراد مشارفته، ومقاربتة، وإرادته، وانظر الإتيان (١١٥/٣).

٣- (٣٢٥/٣) (النحل/٩٨).

٤- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع تسمية الشيء باسم آله التي يتم بها، وعلاقته آليه، وانظر الإتيان (١١٤/٣).

أنتني لسان بني عامر *** أحاديثها بعد قول نكر
ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي ثناءً حسناً
باقياً. ومن إطلاق اللسان بمعنى الكلام مذكراً قول الحطيئة:

ندمت على لسان فات مني *** فليت بأنه في جوف عكم [(١)].

٤٠- يطلق الإذاقة على الذوق وعلى غيره من وجود الألم واللذة.

٤١- يطلق اللباس على المعروف، ويطلق على غيره مما فيه معنى اللباس من
الاشتمال.

[في هذه الآية الكريمة سؤال معروف، هو أن يقال: كيف أوقع الإذاقة على
اللباس في قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾. وروي أن ابن الروندي
الزنديق قال لابن الأعرابي إمام اللغة الأديب: هل يُذاق اللباس؟ يريد الطعن في
قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾. فقال له ابن الأعرابي: لا بأس أيها النسناسا
هب أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان نبياً! أما كان عربياً؟

قال مقيده عفا الله عنه: والجواب عن هذا السؤال ظاهر، وهو أنه أطلق اسم
اللباس على ما أصابهم من الجوع والخوف؛ لأن آثار الجوع والخوف تظهر على
أبدانهم، وتحيط بها كاللباس، ومن حيث وجدانهم ذلك اللباس المعبراً به عن آثار
الجوع والخوف، أوقع عليه الإذاقة، فلا حاجة إلى ما يذكره البيهانيون من
الاستعارات في هذه الآية الكريمة، وقد أوضحنا في رسالتنا التي سميناهما (منع
جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز): أنه لا يجوز لأحد أن يقول إن في
القرآن مجازاً، وأوضحنا ذلك بأدلته، وبيننا أن ما يسميه البيهانيون مجازاً أنه أسلوب
من أساليب اللغة العربية.

وقد اختلف أهل البيان في هذه الآية، فبعضهم يقول: فيها استعارة مجردة.
يعنون أنها جيء فيها بما يلائم المستعار له. وذلك في زعمهم أنه استعار اللباس لما
غشيه من بعض الحوادث كالجوع والخوف، بجامع اشتماله عليهم كاشتمال اللباس
على اللابس على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية الحقيقية، ثم ذكر الوصف،

الذي هو الإذاقة ملائماً للمستعار له، الذي هو الجوع والخوف؛ لأن إطلاق الذوق على وجدان الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة لكثرة الاستعمال. فيقولون: ذاق البؤس والضر، وأذاقه غيره إياهما. فكانت الاستعارة مجردة لذكر ما يلائم المستعار له، الذي هو المشبه في الأصل في التشبيه الذي هو أصل الاستعارة. ولو أريد ترشيح هذه الاستعارة في زعمهم لقليل: فسكاها؛ لأن الإتيان بما يلائم المستعار منه الذي هو المشبه به في التشبيه الذي هو أصل الاستعارة يسمى «ترشيحاً»، والكسوة تلائم اللباس، فذكرها ترشيح للاستعارة، قالوا: وإن كانت الاستعارة المرشحة أبلغ من المجردة، فتجريد الاستعارة في الآية أبلغ من حيث إنه روعي المستعار له الذي هو الجوع والخوف، وبذكر الإذاقة المناسبة لذلك ليزداد الكلام وضوحاً.

وقال بعضهم: هي استعارة مبنية على استعارة، فإنه أولاً استعار لما يظهر على أبدانهم من الاصفرار، والذبول، والنحول اسم اللباس، بجامع الإحاطة بالشيء والاشتغال عليه، فصار اسم اللباس مستعاراً لآثار الجوع والخوف على أبدانهم، ثم استعار اسم الإذاقة لما يجدونه من ألم ذلك الجوع والخوف، المعبر عنه باللباس، بجامع التعرف والاختبار في كل من الذوق بالفم، ووجود الألم من الجوع والخوف. وعليه ففي اللباس استعارة أصلية كما ذكرنا، وفي الإذاقة المستعارة لمس ألم الجوع، والخوف استعارة تبعية.

وقد ألمنا هنا بطرف قليل من كلام البيانين هنا ليفهم الناظر مرادهم، مع أن التحقيق الذي لا شك فيه: أن كل ذلك لا فائدة فيه، ولا طائل تحته، وأن العرب تطلق الإذاقة على الذوق وعلى غيره من وجود الألم واللذة، وأنها تطلق اللباس على المعروف، وتطلقه على غيره مما فيه معنى اللباس من الاشتغال. كقوله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}، وقول الأعشى:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها *** تنبت عليه فكانت لباسا

وكلها أساليب عربية، ولا إشكال في أنه إذا أطلق اللباس على مؤثر مؤلم يحيط بالشخص إحاطة اللباس، فلا مانع من إيقاع الإذاقة على ذلك الألم المحيط المعبر

باسم اللباس. والعلم عند الله تعالى].^(١).

٤٢ - الإتيان بحرف التعليل للدلالة على العلة الغائية، والإتيان باللام للدلالة على ترتيب أمر على أمر، كترتب المعلول على علته الغائية.

[من أساليب اللغة العربية: الإتيان بحرف التعليل للدلالة على العلة الغائية. كقوله: {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}. ومن أساليبها الإتيان باللام للدلالة على ترتيب أمر على أمر، كترتب المعلول على علته الغائية، وهذا الأخير كقوله: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}; لأن العلة الغائية الباعثة لهم على التقاطه ليست هي أن يكون لهم عدواً، بل ليكون لهم قرّة عين. كما قالت امرأة فرعون: {قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكَدًا} ولكن لما كان كونه عدواً لهم وحزناً يترتب على التقاطهم له. كترتب المعلول على علته الغائية عبر فيه باللام الدالة على ترتيب المعلول على العلة. وهذا أسلوب عربي، فلا حاجة إلى ما يطيل به البيانون في مثل هذا المبحث.]^(٢).

٤٣ - الفلاح يطلق على: الفوز بالمطلوب، وعلى: البقاء والدوام في النعيم.

[قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ} مضارع أفلح بمعنى نال الفلاح. والفلاح يطلق في العربية على الفوز بالمطلوب. ومنه قول لبيد:

فاعقلي إن كنت لما تعقلي *** ولقد أفلح من كان عقل

فقوله «ولقد أفلح من كان عقل» يعني أن من رزقه الله العقل فاز بأكبر

مطلوب. ويطلق الفلاح أيضاً على البقاء والدوام في النعيم. ومنه قول لبيد:

لو أن حيا مدرك الفلاح *** لناله ملاعب الرماح

فقوله «مدرك الفلاح» يعني البقاء. وقول الأضبط بن قريع السعدي، وقيل

كعب بن زهير:

لكل هم من الهموم سعه *** والمسى والصبح لا فلاح معه

يعني أنه ليس مع تعاقب الليل والنهار بقاء. وبكل واحد من المعنيين فسر

١ - (٣/٣٤٤: ٣٤٦)(النحل/ ١١٢، ١١٣).

٢ - (٣/٣٤٨)(النحل/ ١١٦).

بعض أهل العلم «حي على الفلاح» في الأذان والإقامة [(١)].

٤٤ - المشاكلة بين الألفاظ.

[أطلق جل وعلا في هذه الآية الكريمة اسم العقوبة على الجناية الأولى في قوله: {بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} والجناية الأولى ليست عقوبة؛ لأن القرآن بلسان عربي مبين، ومن أساليب اللغة العربية المشاكلة بين الألفاظ، فيؤدي لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلة للفظ آخر مقترن به في الكلام.
كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه *** قلت اطبخوا لي جبةً وقميصاً
أي خيطوا لي. وقال بعض العلماء: ومنه قول جرير:
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها *** فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر
بناء على القول بأن الأرامل لا تطلق في اللغة إلا على الإناث.

ونظير الآية الكريمة في إطلاق إحدى العقوبتين على ابتداء الفعل مشاكلة للفظ الآخر قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ}، ونحوه أيضاً قوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} مع أن القصاص ليس بسيةة وقوله: {فَمَنْ اِعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ}. لأن القصاص من المعتدي أيضاً ليس باعتداء كما هو ظاهر، وإنما أدى بغير لفظه للمشاكلة بين اللفظين. [(٢)].

٤٥ - لفظ الرؤيا يطلق على رؤية العين يقظة - أي مع إطلاقها على رؤيا المنام - (٣).

[وما زعمه بعض أهل العلم من أن الرؤيا لا تطلق بهذا اللفظ لغة إلا على رؤيا المنام مردود.

بل التحقيق: أن لفظ الرؤيا يطلق في لغة العرب على رؤية العين يقظة أيضاً. ومنه

١ - (٣٤٩/٣) (النحل/١١٦ - ١١٧)، وانظر أيضاً: (٤٨٠/٤ - ٤٨١) (طه / ٦٩)، (٧٥٦/٥) -

(٧٥٧) (المؤمنون / ١ - ٢)، (٢٠٤/٦) (النور/٣١).

٢ - (٣٥٤/٣) (النحل/١٢٦).

٣ - ولعل هذا، والله أعلم عند القائلين بالمجاز من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول، وقد

سبق الكلام على ذلك، وانظر الإتيان (١١٦/٣).

قول الراعي وهو عربي قح:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده *** وبشر نفساً كان قبل يلومها

فإنه يعني رؤية صائد بعينه. ومنه أيضاً قول أبي الطيب: " ورؤياك أحلى في العيون من الغمض ". قاله صاحب اللسان. [(١)]

٤٦ - حذف المضاف، إن دلت عليه قرينة (٢).

[قوله: { وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ } على التفسير المذكور أي الشمس { مُبْصِرَةً } أي

ذات شعاع يبصر

في ضوءها كل شيء على حقيقته.

قال الكسائي: هو من قول العرب: أبصر النهار: إذا أضاء وصار بحالة

يبصر بها. نقله عنه القرطبي.

قال مقيد عفا الله عنه: هذا التفسير من قبيل قولهم: نهاره صائم، وليله قائم.

ومنه قوله:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى *** ونمت وما ليل المحب بنائم

وغاية ما في الوجه المذكور من التفسير: حذف مضاف، وهو كثير في

القرآن وفي كلام العرب إن دلت عليه قرينة. قال في الخلاصة:

وما يلي المضاف يأتي خلفا *** عنه في الإعراب إذا ما حذفاً

١ - (٣٥٧/٣) (بني إسرائيل/١).

٢ - قال السيوطي في الإتقان (٣/١٢٤): [وقال ابن عطية: حذف المضاف هو عين المجاز

ومعظمه، وليس كل حذف مجازاً. وقال القرافي: الحذف أربعة أقسام: قسم يتوقف عليه صحة

اللفظ ومعناه، من حيث الإسناد، نحو { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ } (يوسف: ٨٢)، أي: أهلها إذ لا يصح

إسناد السؤال إليها. وقسم يصح بدونها، لكن يتوقف عليه شرعا، كقوله: { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ

مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } (البقرة: ١٨٤) أي: فأفطر فعدة.

وقسم يتوقف عليه عادة، لا شرعا، نحو: { أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ } (الشعراء: ٦٣)

أي: فضربه. وقسم يدل عليه دليل غير شرعي، ولا هو عادة، نحو: { فَقبضت قبضة من أثر

الرسول } (طه: ٩٦) دل الليل على أنه إنما قبض من أثر حافر فرس الرسول، وليس في

هذه الأقسام مجاز إلا الأول].

والقرينة في الآية الكريمة الدالة على المضاف المحذوف قوله: {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} فإضافة الآية إلى الليل والنهار دليل على أن الآيتين المذكورتين لهما لا هما أنفسهما. وحذف المضاف كثيرة في القرآن كقوله: {وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا}، وقوله: {حُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ} أي نكاحها، وقوله: {حُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ} أي أكلها، ونحو ذلك. (١).

٤٧ - أمرته فعصاني. أي أمرته بالطاعة فعصى.

[قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}]. في معنى قوله {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} في هذه الآية الكريمة ثلاثة مذاهب معروفة عند علماء التفسير:

الأول: وهو الصواب الذي يشهد له القرآن، وعليه جمهور العلماء أن الأمر في قوله {أَمَرْنَا} هو الأمر الذي هو ضد النهي، وأن متعلق الأمر محذوف لظهوره. والمعنى: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله وأتباعهم فيما جاؤوا به {فَفَسَقُوا} أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله {فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ} أي وجب عليها الوعيد {فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} أي أهلكتناها إهلاكاً مستأصلاً. وأكد فعل التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم...

وبهذا التحقيق تعلم: أن ما زعمه الزمخشري في كشفه من أن معنى {أَمَرْنَا} مُتْرَفِيهَا} أي أمرناهم بالفسق ففسقوا، وأن هذا مجاز تنزيلاً لإسباغ النعم عليهم الموجب لبطرهم وكفرهم منزلة الأمر بذلك كلام كله ظاهر السقوط والبطلان. وقد أوضح إبطاله أبو حيان في «البحر»، والرازي في تفسيره، مع أنه لا يشك منصف عارف في بطلانه.

وهذا القول الصحيح في الآية جار على الأسلوب العربي المألوف، من قولهم: أمرته فعصاني. أي أمرته بالطاعة فعصى، وليس المعنى: أمرته بالعصيان كما لا

١- (٤٢١/٣) (بني إسرائيل/١١)، وانظر أيضاً (٥٥٤/٥) (الحج/٢٨)، (٢٧١/٦) (الفرقان/٣)، (٢٦٤/٧) (الزخرف/٦١).

يخفى] ^(١).

٤٨ - خطاب إنسان والمراد بالخطاب غيره.

أقوله تعالى: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخذُولًا}. الظاهر أن الخطاب في هذه الآية الكريمة متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليشرع لأُمَّته على لسانه إخلاص التوحيد في العبادة له جل وعلا؛ لأنه صلى الله عليه وسلم معلوم أنه لا يجعل مع الله إلهاً آخر، وأنه لا يقعد مذمومًا مخذولاً.

ومن الآيات الدالة دلالة واضحة على أنه صلى الله عليه وسلم يوجه إليه الخطاب، والمراد بذلك التشريع لأُمَّته لا نفس خطابه هو صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَتَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}؛ لأن معنى قوله {إِمَّا يَبْلُغَنَّ} أي إن يبلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر فلا تقل لهما أف، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل، فلا وجه لاشتراط بلوغهما أو أحدهما الكبر بعد أن ماتا منذ زمن طويل، إلا أن المراد التشريع لغيره صلى الله عليه وسلم، ومن أساليب اللغة العربية خطابهم إنساناً والمراد بالخطاب غيره. ومن الأمثلة السائرة في ذلك قول الراجز، وهو سهل بن مالك الفزاري: إياك أعني واسمعي يا جاره
وسبب هذا المثل: أنه زار حارثة بن لأم الطائي فوجده غائباً. فأنزلته أخته وأكرمته، وكانت جميلة.

فأعجبه جمالها، فقال مخاطباً لأخرى غيرها ليسمعها هي:

يا أخت خير البدو والحضارة *** كيف ترين في فتى فزاره
أصبح يهوى حرة معطاره *** إياك أعني واسمعي يا جاره
ففهمت المرأة مراده، وأجابته بقولها:
إني أقول يا فتى فزاره *** لا أبتغي الزوج ولا الدعاره
ولا فراق أهل هذي الحاره *** فارحل إلى أهلك باستحاره

والظاهر أن قولها «باستحاره» أن أصله استفعال من المحاوراة بمعنى رجع الكلام بينهما أي ارحل إلى أهلك بالمحاوراة التي وقعت بيني وبينك، وهي كلامك وجوابي له، ولا تحصل مني على غير ذلك! والهاء في «الاستحاره» عوض من العين الساقطة بالإعلال، كما هو معروف في فن الصرف. [(١)].

٤٩ - أفراد الخطاب مع قصد التعميم (٢).

وقال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - عقب كلامه السابق: [وذهب بعض أهل العلم إلى أن الخطاب في قوله: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} ونحو ذلك من الآيات متوجه إلى المكلف، ومن أساليب اللغة العربية: أفراد الخطاب مع قصد التعميم. كقول طرفة بن العبد في معلقته:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً *** ويأتيك بالأخبار من لم تزود [(٣)].

٥٠ - إطلاق كل من اسما الفاعل واسم المفعول وإرادة الآخر.

[قوله في هذه الآية الكريمة: {حِجَابًا مَسْتُورًا} قال بعض العلماء: هو من إطلاق اسم المفعول وإرادة اسم الفاعل. أي حجاباً ساتراً، وقد يقع عكسه كقوله تعالى: {مِنْ مَّاءٍ دَاقِقٍ} أي مدفوق {عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ} أي مرضية. فإطلاق كل من اسم الفاعل واسم المفعول وإرادة الآخر أسلوب من أساليب اللغة العربية. والبيانيون يسمون مثل ذلك الإطلاق «مجازاً عقلياً» (٤) ومن أمثلة إطلاق المفعول وإرادة الفاعل كالقول في الآية قولهم: ميمون ومشووم، بمعنى يامن وشائم. وقال بعض أهل العلم: قوله {مَسْتُورًا} على معناه الظاهر من كونه اسم مفعول، لأن ذلك

١ - (٣/٤٥٠-٤٥١) (بني إسرائيل/٢٢)، وانظر أيضاً: (٦/٣٣٨) (الفرقان/٥٢، ٥١)،

(٦/٣٨٤) (الشعراء/٢١٣)، (٦/٤٩١) (الروم/٦٠)، (٦/٥١٣) (الأحزاب/١)، (٧/٢٦-٢٧)

(٢٧) (ص/٢٦)، (٧/٣٠٨-٣٠٩) (الزخرف/٨١)، (٧/٣٥٣) (الجاثية/١٨).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من باب إطلاق

الخاص على العام، وقد سبق الكلام عليه قريباً. وانظر الإتيان (٣/١١٢).

٣ - (٣/٤٥١) (بني إسرائيل/٢٢)، وانظر أيضاً: (٧/٢٦-٢٧) (ص/٢٦)، (٩/٣٧٣) (العلق/١٥)،

(١٦)، (٩/٦٠٤) (المسد/١).

٤ - وانظر الإتيان (٣/١١٧)، وأسرار البيان (ص/١٢).

الحجاب مستور عن أعين الناس فلا يرونه. أو مستوراً به القارئ فلا يراه غيره. واختار هذا أبو حيان في البحر. والعلم عند الله تعالى. [(١)]

٥١- حذف النعت إن دل عليه الدليل.

[قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}]. قال بعض أهل العلم: في هذه الآية الكريمة حذف الصفة، أي وإن من قرية ظالمة إلا نحن مهلكوها. وهذا النعت المحذوف دلت عليه آيات من كتاب الله تعالى. كقوله {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} وقوله: {ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}. أي بل لا بد أن تتذرمهم الرسل فيكفروا بهم وبربهم. وقوله {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}، وقوله {وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ فَخَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} إلى غير ذلك من الآيات.

وغاية ما في هذا القول حذف النعت مع وجود أدلة تدل عليه. ونظيره في القرآن قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} أي كل سفينة صالحة. بدليل أن خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به سلامتها من أخذ الملك لها، لأنه لا يأخذ المعيبة التي فيها الخرق وإنما يأخذ الصحيحة. ومن حذف النعت قوله تعالى: {قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ} أي بالحق الواضح الذي لا لبس معه في صفات البقرة المطلوبة. ونظيره من كلام العرب قول الشاعر، وهو المرقش الأكبر:

ورب أسيلة الخدين بكر *** مهفهفة لها فرع وجيد

أي فرع فاحم وجيد طويل، وقول عبيد بن الأبرص:

من قوله قول ومن فعله *** فعل ومن نائله نائل

أي قوله قول فصل، وفعله فعل جميل، ونائله نائل جزيل، وإلى هذا أشار في الخلاصة بقوله:

١- (٥٤٢/٣) (بني إسرائيل/٤٢)، وانظر سر العربية للثعالبي (ص/٣٥٥).

وما من المنعوت والنعته عقل *** يجوز حذفه وفي النعت يقل [(١)] .

٥٢- يطلق لفظة الصالحة على الفعلة الطيبة.

[التحقيق: أن مفرد { الصَّالِحَاتِ } في قوله: { يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ }، وقوله: { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ونحو ذلك أنه: صالحة، وأن العرب تطلق لفظة الصالحة على الفعلة الطيبة، كإطلاق اسم الجنس لتناسي الوصفية، كما شاع ذلك الإطلاق في الحسنه مراداً بها الفعلة الطيبة.

ومن إطلاق العرب لفظ الصالحة على ذلك قول أبي العاص بن الربيع في زوجة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بنت الأمين جزاك الله صالحة *** وكل بعل سيئنى بالذي علماً
وقول الحطيئة:

كيف الهجاء ولا تنفك صالحة *** من آل لأم بظهر الغيب تأتيني
وسئل إعرابي عن الحب فقال:

الحب مشغلة عن كل صالحة *** وسكرة الحب تنفي سكرة الوسن [(٢)] .

٥٣- تطلق لعل مضمنة معنى النهي.

[قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}... وأظهر هذه الأقوال عندي في معنى «لعل» أن المراد بها في الآية النهي عن الحزن عليهم. وإطلاق لعل مضمنة معنى النهي في مثل هذه الآية أسلوب عربي يدل عليه سياق الكلام. ومن الأدلة على أن المراد بها النهي عن ذلك كثرة ورود النهي صريحاً عن ذلك. كقوله: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ}، وقوله: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}، وقوله: {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات وخير ما يفسر به القرآن القرآن. [(٣)] .

١- (٥٤٦/٣) (بني إسرائيل/٥٨)، وانظر أيضاً (٦٥١/٧) (ق / ١٧، ١٨).

٢- (١٠/٤) (الكهف/١: ٥).

٣- (١٦/٤) (الكهف/٦).

٤٥ - يطلق فعيل بمعنى مفعول (١).

[قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}.
واختلف العلماء في المراد بـ {الرقيم} في هذه الآية على أقوال كثيرة... وأظهر
الأقوال عندي بحسب اللغة العربية وبعض آيات القرآن: أن الرقيم معناه: المرقوم،
فهو فعيل بمعنى مفعول، من رقمت الكتاب إذا كتبتَه، ومنه قوله تعالى: {كِتَابٌ
مَّرْقُومٌ}. سواء قلنا: إن الرقيم كتاب كان عندهم فيه شرعهم الذي تمسكوا به، أو
لوح من ذهب كتبت فيه أسماءهم وأنسابهم وقصتهم وسبب خروجهم، أو صخرة
نقشت فيها أسماءهم. والعلم عند الله تعالى.] (٢).

وقال أيضاً: [قوله تعالى في هذه الآية {عَذَابِ السَّعِيرِ} يعني عذاب النار،
فالسعير النار أعاننا الله، وإخواننا المسلمين منها. والظاهر أن أصل السعير: فعيل،
بمعنى: مفعول من قول العرب: سحر النار، يسعرها كمنع يمنع إذا أوقدها، وكذلك
سعرها بالتضعيف، وعلى لغة التضعيف والتخفيف القراءتان السبعينتان في قوله {وَإِذَا
الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} فقد قرأه من السبعة نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان، وعاصم
في رواية حفص: سعرت بتشديد العين وقرأه الباقر بتخفيف العين، ومما جرى من
كلام العرب على نحو قراءة نافع، وابن ذكوان، وحفص قول بعض شعراء
الحماسة:

قالت له عرسه يوماً لتُسْمَعِنِي *** مهلاً فإن لنا في أمنا أربا

ولو رأيتني في نار مُسْعِرَةٍ *** ثم استطاعت لزدت فوقها خطبا

إذ لا يخفى أن قوله: مسعرة: اسم مفعول سعرت بالتضعيف، وبما ذكرنا
يظهر أن أصل السعير: فعيل بمعنى اسم المفعول: أي النار المسعرة: أي الموقدة
إيقاداً شديداً لأنها بشدة الإيقاد يزداد حرها عياداً بالله منها، ومن كل ما قرب إليها

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق
فعيل، بمعنى مفعول، ومثل له السيوطي أيضاً بقوله تعالى: {وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ
ظَهِيرًا} (الفرقان: ٥٥) وظهير معنى مظهر أي كفر الكافرين هين على الله تعالى، والله
مستهيّن به؛ لأن كفره لا يضره، وانظر الإتيان (١١٧/٣) وتفسير القرطبي.

٢ - (٢١/٤ - ٢٢) (الكهف/٧، ٨).

من قول وعمل [(١)] .

٥٥- يطلق الأمد على الغاية.

[إطلاق الأمد على الغاية معروف في كلام العرب ومنه قول نابغة

ذبيان:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه *** سبق الجواد إذا استولى على الأمد [(٢)] .

٥٦- تطلق الآية في اللغة العربية بمعنى العلامة، وبمعنى الجماعة، وتطلق في القرآن على الآية الشرعية، والآية الكونية.

[الآية تطلق في اللغة العربية إطلاقين، وتطلق في القرآن العظيم إطلاقين

أيضاً. أما إطلاقها في اللغة الأول منهما أنها تطلق بمعنى العلامة، وهو الإطلاق المشهور، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ}، وقول عمر بن أبي ربيعة:

بآية ما قالت غداة لقيتها *** بمدفع أكنان أهذا المشهر

يعني أن قولها ذلك هو العلامة بينها وبين رسوله إليها المذكور في قوله قبله:

ألكني إليها بالسلام فإنه *** يشهر إمامي بها وينكر

وقد جاء في شعر نابغة ذبيان وهو جاهلي تفسير الآية بالعلامة في قوله:

توهمت آيات لها فعرفتها *** لستة أعوام وذا العام سابع

ثم بين أن مراده بالآيات علامات الدار بقوله بعده:

رماد ككحل العين لأياً أبينه *** ونؤدي كجذم الحوض أنثم خاشع

وأما الثاني منهما فهو إطلاق الآية بمعنى الجماعة، يقولون: جاء القوم

بآيتهم، أي بجماعتهم. ومنه قول برج بن مسهر أو غيره:

خرجنا من النقبين لاحي مثلنا *** بآياتنا لزجي اللقاح المطافلا

فقوله «بآياتنا» أي بجماعتنا.

وإما إطلاقها في القرآن فالأول منهما إطلاقها على الآية الكونية القدرية،

كقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي

١ - (١٧/٥ - ١٨) (الحج / ٣، ٤).

٢ - (٢٩/٤) (الكهف/١٢).

الألْبَابِ { أي علامات كونية قدرية، يعرف بها أصحاب العقول السليمة أن خالقها هو الرب المعبود وحده جل وعلا. والآية الكونية القدرية في القرآن من الآية بمعنى العلامة لغة.

وأما إطلاقها الثاني في القرآن فهو إطلاقها على الآية الشرعية الدينية، كقوله: {رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ} ونحوها من الآيات. والآية الشرعية الدينية قيل: هي من الآية بمعنى العلامة لغة، لأنها علامات على صدق من جاء بها. أو أن فيها علامات على ابتدائها وانتهائها. وقيل: من الآية بمعنى الجماعة، لاشتغال الآية الشرعية الدينية على طائفة وجماعة من كلمات القرآن [(١)].

٥٧- يطلق الغد على المستقبل من الزمان (٢).

[قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ}... والمراد بالغد: ما يستقبل من الزمان لا خصوص الغد. ومن أساليب العربية إطلاق الغد على المستقبل من الزمان. ومنه قول زهير:

واعلم علم اليوم والأمس قبله *** ولكنني عن علم ما في غد عم

يعني أنه لا يعلم ما يكون في المستقبل، إذ لا وجه لتخصيص الغد المعين بذلك. [(٣)].

٥٨- التهديد بالصيغة التي ظاهرها التخيير (٤).

[قوله تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}. ظاهر هذه الآية الكريمة بحسب الوضع اللغوي التخيير بين الكفر والإيمان ولكن المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها التهديد والتخويف. والتهديد بمثل هذه

١- ٤٢/٤: ٤٤، الكهف / ١٧، وانظر أيضاً: ٣٣٨/٧: ٣٤٠، الجاثية/٦.

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من باب إطلاق الخاص على العام، وقد سبق الكلام عليه. وانظر الإتيان (١١٢/٣).

٣- (٨٦/٤) (الكهف/٢٣، ٢٤).

٤- قال البيهقي في أصوله (ص/٨٨): [وأما الثابت بسياق النظم فمثل قول الله تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا} (الكهف: ٢٩) تركت حقيقة الأمر والتخيير بقوله عز وجل: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا } وحمل على الإنكار، والتوبيخ مجازاً].

الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية. والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف أنه أتبع ذلك بقوله {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف. إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم. وهذا واضح كما ترى. [(١)] .

٥٩ - الظلم وضع الشيء في غير محله.

[وقد قدمنا أن الظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير محله، ومن أعظم ذلك وضع العبادة في مخلوق. وقد جاء في القرآن إطلاق الظلم على النقص في قوله: {وَلَمْ تَظْلِمِ مَنَّةً شَيْئًا} وأصل معنى مادة الظلم هو ما ذكرنا من وضع الشيء في غير موضعه، ولأجل ذلك قيل الذي يضرب اللبن قبل أن يروب: ظالم لوضعه ضرب لبنه في غير موضعه، لأن ضربه قبل أن يروب يضيع زبده. ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وقائلة ظلمت لكم سقائي *** وهل يخفى على العكد الظليم

فقوله «ظلمت لكم سقائي» أي ضربته لكم قبل أن يروب. ومنه قول الآخر في سقاء له ظلمه بنحو ذلك:

وصاحب صدق لم تربني شكاته *** ظلمت وفي ظلمي له عامداً أجر

وفي لغز الحريري في مقاماته في الذي يضرب لبنه قبل أن يروب قال: أيجوز أن يكون الحاكم ظالماً؟ قال: نعم، إذا كان عالماً. ومن ذلك أيضاً قولهم للأرض التي حفر فيها وليست محل حفر في السابق: أرض مظلومة، ومنه قول نابغة ذبيان:

إلا الأواري لأياً ما أبينها *** والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد

وما زعمه بعضهم من أن «المظلومة» في البيت هي التي ظلمها المطر بتخلفه عنها وقت إبانته المعتاد غير صواب. والصواب هو ما ذكرنا إن شاء الله

١ - (١٠١/٤) (الكهف/٢٩).

تعالى. ولأجل ما ذكرنا قالوا للتراب المخرج من القبر عند حفره ظليم بمعنى مظلوم، لأنه حفر في غير محل الحفر المعتاد، ومنه قول الشاعر يصف رجلاً مات ودفن:

فأصبح في غبراء بعد إشاحة *** على العيش مرود عليها ظليهما] (١).

٦٠ - إغائة الكفار بماء كالمهل مع أنه من أشد العذاب (٢)، وبين إطلاقات المهل.

[قوله في هذه الآية الكريمة: {وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوْا} يعني إن يطلبوا الغوث مما

هم فيه من الكرب يغاثوا، يؤتوا بغوث هو ماء كالمهل.

والمهل في اللغة: يطلق على ما أذيب من جواهر الأرض، كذائب الحديد

والنحاس، والرصاص ونحو ذلك.

ويطلق أيضاً على دردي الزيت وهو عكره. والمراد بالمهل في الآية: ما

أذيب من جواهر الأرض. وقيل: دردي الزيت. وقيل: هو نوع من القطران. وقيل السم.

فإن قيل: أي إغائة في ماء كالمهل مع أنه من أشد العذاب، وكيف قال الله

تعالى: {يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ}؟ فالجواب أن هذا من أساليب اللغة العربية التي نزل

بها القرآن. ونظيره من كلام العرب قول بشر بن أبي حازم:

غضبت تميم أن تقتل عامر *** يوم النصار فأعتبوا بالصيلم

فمعنى قوله «أعتبوا بالصيلم»: أي أرضوا بالسيف. يعني ليس لهم منا

إرضاء إلا بالسيف.

وقول عمرو بن معد يكرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل *** تحية بينهم ضرب وجيع

يعني لا تحية لهم إلا الضرب الوجيع. وإذا كانوا لا يغاثون إلا بماء كالمهل علم

من ذلك أنهم لا إغائة لهم البتة. [(٣).

١ - (١٠١/٤) (الكهف/٢٩).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق

الشيء، وإرادة عكسه، أو ضده، وانظر الإتيان (١١٥/٣).

٣ - (١٠٤/٤) (الكهف/٢٩).

٦١- أصل الارتفاق هو الاتكاء على المرفق (١).

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - عند قوله تعالى: {بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} (الكهف: ٢٩) [والمرتفق: مكان الارتفاق. وأصله أن يتكئ الإنسان معتمداً على مرفقه. وللعلماء في المراد بالمرتفق في الآية أقوال متقاربة في المعنى. قيل مرتفقاً. أي منزلاً، وهو مروى عن ابن عباس. وقيل مقراً، وهو مروى عن عطاء. وقيل مجلساً وهو مروى عن العتبي. وقال مجاهد: مرتفقاً أي مجتمعاً. فهو عنده مكان الارتفاق بمعنى مرافقة بعضهم لبعض في النار.

وحاصل معنى الأقوال أن النار بيئس المستقر هي، وبيئس المقام هي. ويدل لهذا قوله تعالى: {إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}، وكون أصل الارتفاق هو الاتكاء على المرفق معروف في كلام العرب، ومنه قول أبي نؤيب الهذلي:

نام الخلى وبت الليل مرتفقاً *** كأن عيني فيها الصاب مذبح
ويروى «وبت الليل مشتجراً» وعليه فلا شاهد في البيت. ومنه قول أعشى باهلة:
قد بت مرتفقاً للنجم أرقبه *** حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
وقول الراجز:

قالت له وارتفعت ألافتي *** يسوق بالقوم غزالات الضحا [(٢).

٦٢- يطلق الجن على الملائكة.

[العرب تعرف في لغتها إطلاق الجن على الملائكة. ومنه قول الأعشى

في سليمان بن داود:

وسخر من جن الملائك تسعة *** قياماً لديه يعملون بلا أجر
قالوا: ومن إطلاق الجن على الملائكة قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} عند من يقول: بأن المراد بذلك قولهم: الملائكة بنات الله. سبحانه وتعالى عن كل ما

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع تسمية الشيء باسم آله التي يتم بها، وعلاقته آية، وانظر الإتيان (١١٤/٣) وأسرار البيان (ص/١٢٥).

٢- (١٠٥/٤-١٠٦) (الكهف/٢٩).

لا يليق بكماله وجلاله علواً كبيراً !] (١).

٦٣- يطلق باض وفرخ على سبيل المثل (٢).

[دلت الآية الكريمة - أي قوله تعالى: { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَزُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ } (الكهف: ٥٠) - على أن له ذرية، أما كيفية ولادة تلك الذرية فلم يثبت فيه نقل صحيح، ومثله لا يعرف بالرأي. وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: قلت: الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميري في الجمع بين الصحيحين عن الإمام أبي بكر البرقاني: أنه خرج في كتابه مسنداً عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ، من رواية عاصم، عن أبي عثمان، عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فيها باض الشيطان وفرخ» (٣) وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه.

قال مقيده عفا الله عنه: هذا الحديث إنما يدل على أنه يبيض ويفرخ، ولكن لا دلالة فيه على ذلك. هل هي من أنثى هي زوجة له، أو من غير ذلك، مع أن دلالة الحديث على ما ذكرنا لا تخلو من احتمال؛ لأنه يكثر في كلام العرب إطلاق باض وفرخ على سبيل المثل. فيحتمل معنى باض وفرخ على سبيل المثل؛ فيحتمل معنى باض وفرخ أنه فعل بها ما شاء من إضلال وإغواء ووسوسة ونحو ذلك على سبيل المثل، لأن الأمثال لا تغير ألفاظها.] (٤).

١- (١٣١/٤)(الكهف/٥٠).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيهاً، وانظر الإتيان (١١٥/٣).

٣- أخرجه بهذا اللفظ الطبراني (٢٤٨/٦)(٦١١٨)، والبيهقي في الشعب (٣٧٩/٧)(١٠٦٥٥)، ورواه مسلم في صحيحه عن سلمان بلفظ: { قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة - أو قال مريض - الشيطان وبها رأيتة) }.

٤- (١٣٤/٤)(الكهف/٥٠).

٦٤ - الظن يطلق على اليقين، وعلى الشك (١).

[معلوم أن الظن يطلق في لغة العرب، التي نزل بها القرآن على معنيين: أحدهما: الشك كقوله {إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}، وقوله تعالى عن الكفار: {إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ}.

والثاني: هو إطلاق الظن مراداً به العلم واليقين، ومنه قوله تعالى هنا: {وَنَظُنُّوْا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ} أي أيقنوا، أنهم ليس لهم يوم القيامة محيص، أي لا مفر ولا مهرب لهم من عذاب ربهم، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} أي أيقنوا ذلك وعلومه، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} وقوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ} وقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ}، فالظن في الآيات المذكورة كلها بمعنى اليقين.

ونظير ذلك من كلام العرب قول دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج *** سراتهم في الفارسي المسرد

وقول عميرة بن طارق:

بأن تعتروا قومي وأقعد فيكم *** وأجعل مني الظن غيباً مرجماً

والظن في البيتين المذكورين بمعنى اليقين [(٢).

١ - ومما يؤكد كلام العلامة الشنقيطي - رحمه الله - في قضية المجاز، ما قاله ابن عاشور في التحرير والتنوير: [والظن: يطلق على مراتب الإدراك فيطلق على الاعتقاد الجازم الذي لا يشوبه شك كما في قوله تعالى { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } (البقرة: ٤٥، ٤٦)؛ ويطلق على الاعتقاد المشوب بشك. ويظهر أنه حقيقة في هذا الثاني وأنه مجاز في الأول لكنه في الأول شائع فصار كالمشترك [فشيوعه عند العرب لا يجعله من المجاز.

٢ - (١٤٣/٧ - ١٤٤) (فصلت/٤٨)، وانظر أيضاً (١٤٢/٤) (الكهف/٥٣).

٦٥- تطلق الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء.

[قوله تعالى: {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ} ^(١). هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون: بأن المجاز في القرآن، زاعمين أن إرادة الجدار الانقضاض لا يمكن أن تكون حقيقة، وإنما هي مجاز، وقد دلت آيات من كتاب الله على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة، لأن الله تعالى يعلم للجمادات إرادات وأفعالاً وأقوالاً لا يدركها الخلق كما صرح تعالى بأنه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه في قوله جل وعلا: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} فصرح بأننا لا نفقه تسبيحهم، وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جل وعلا، ونحن لا نعلمها. وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والسنة...

وزعم من لا علم عنده أن هذه الأمور لا حقيقة لها، وإنما هي ضرب أمثال زعم باطل؛ لأن نصوص الكتاب، والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه. وأمثال هذا كثيرة جداً. وبذلك تعلم أنه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار على حقيقتها لإمكان أن يكون الله علم منه إرادة الانقضاض، وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة. وهذا واضح جداً كما ترى، مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء. كما في قول الشاعر:

يريد الرمح صدر أبي براء *** ويعدل عن دماء بني عقيل

أي يميل إلى صدر أبي براء. وكقول راعي نمير:

في مهمه قلقت بها هامتها *** قلق الفؤوس إذا أردن نضولا

فقوله « إذا أردن نضولا » أي قاربته. وقول الآخر:

إن دهرأ يلف شملي بجمل *** لزمان يهم بالإحسان

فقوله « لزمان يهم بالإحسان » أي يقع الإحسان فيه. ^(٢).

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به، كالذي قبله، فهو عندهم من باب إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيهاً.

٢ - (١٩٥/٤)(الكهف/٧٧)، (٣٧٧/٤)(مريم/٧٠، ٧١).

٦٦- الرجاء يستعمل في رجاء الخير، ويستعمل في الخوف أيضاً.

[اعلم أن الرجاء كقوله هنا {يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} يستعمل في رجاء الخير، ويستعمل في الخوف أيضاً. واستعماله في رجاء الخير مشهور. ومن استعمال الرجاء في الخوف قول أبي نؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها *** وحالفها في بيت نوب عواسل
فقوله «لم يرج لسعها» أي لم يخف لسعها. ويروى حالفها بالحاء والخاء،
ويروى عواسل بالسين، وعوامل بالميم.

فإذا علمت أن الرجاء يطلق على كلا الأمرين المذكورين فاعلم أنهما متلازمان، فمن كان يرجوا ما عند الله من الخير فهو يخاف ما لديه من الشر كالعكس [١].

وقال أيضاً: [وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: لا يرجون قال بعض العلماء: لا يرجون أي لا يخافون لقاءنا لعدم إيمانهم بالبعث. والرجاء يطلق على الخوف كما يطلق على الطمع. قال بعض العلماء: ومنه قوله تعالى: {مَالِكُمْ لَا تَرَجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً} قال أي لا تخافون لله عظمة، ومنه قول أبي نؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها *** وخالفها في بيت نوب عواسل
فقوله لم يرج لسعها: أي لم يخف لسعها، وقال بعض أهل العلم: إطلاق الرجاء على الخوف لغة تهامة، وقال بعض العلماء: لا يرجون لقاءنا لا يأملون، وعزاه القرطبي لابن شجرة وقال: ومنه قول الشاعر:

أترجو أمة قتلت حسينا *** شفاعته جده يوم الحساب
أي أتأمل أمة الخ. والذي لا يؤمن بالبعث لا يخاف لقاء الله، لأنه لا يصدق بالعذاب، ولا يأمل الخير من تلقائه، لأنه لا يؤمن بالثواب. [٢].

٦٧- يعبر عن انتشار بياض الشيب في الرأس، باشتعال الرأس شيباً.

[وقوله: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً} الألف واللام في «الرأس» قاما مقام المضاف إليه، إذ المراد: واشتعل رأسي شيباً. والمراد باشتعال الرأس شيباً: إنتشار

١- (٢١٨/٤ - ٢١٩) (الكهف/١١٠).

٢- (٣٠٣/٦ - ٣٠٤) (الفرقان/٢١).

بياض الشيب فيه. قال الزمخشري في كشافه: شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه، وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميّزاً، ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم الخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة. انتهى منه.

والظاهر عندنا كما بينا مراراً: أن مثل هذا من التعبير عن انتشار بياض الشيب في الرأس، باشتعال الرأس شيئا أسلوب من أساليب اللغة العربية الفصحى جاء القرآن به، ومنه قول الشاعر:

ضيعت حزمي في إيعادي الأملأ *** وما أروعيت وشيباً رأسي اشتعلا
ومن هذا القبيل قول ابن دريد في مقصورته:

واشتعل المبيض في مسوده *** مثل اشتعال النار في جزل الغضا [(١)] .

٦٨ - المولى: يطلق على كل من انعقد بينك وبينه سبب يواليك وتواليه به.

[المولى في لغة العرب: يطلق على كل من انعقد بينك وبينه سبب يواليك وتواليه به. وكثيراً ما يطلق في اللغة على ابن العم؛ لأن ابن العم يوالي ابن عمه بالقرابة العصبية. ومنه قول طرفة بن العبد:

واعلم علماً ليس بالظن أنه *** إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
يعني إذا ذلت بنو عمه فهو ذليل. وقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

مهلا ابن عمنا مهلا موالينا *** لا تتبشوا بيننا ما كان مدفونا [(٢)] .

٦٩ - العاقر يطلق على الذكر والأنثى (٣) .

[قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَكَاَنَّتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا} ظاهر في أنها كانت عاقراً في زمن شبابها. والعاقر: هي العقيم التي لا تلد، وهو يطلق على الذكر

١ - (٢٢١/٤ - ٢٢٢) (مريم/٤).

٢ - (٢٢٨/٤ - ٢٢٩) (مريم/٥)، وانظر (٢٤٠/٧ - ٢٤١) (الزخرف / ٢٨ : ٣٠).

٣ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من باب إطلاق المؤنث على المذكر، وانظر الإتيان (٣/١٢٠ - ١٢١).

والأنثى.

فمن إطلاقه على الأنثى هذه الآية، وقوله تعالى عن زكريا أيضاً: {وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرَ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ}.

ومن إطلاقه على الذكر قول عامر بن الطفيل:

فَبِئْسَ الْفَتَىٰ إِنْ كُنْتَ أَعْوَرَ عَاقِرًا *** جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَىٰ كُلِّ مُحْضَرٍ [١].

٧٠- السمي يطلق بمعنى: مسمى باسمه. وبمعنى: المسامي، أي المماثل في السمو، والرفعة، والشرف، وهو فعيل بمعنى مفاعل [٢].

[وقوله في هذه الآية الكريمة: {لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} اعلم أولاً أن السمي يطلق في اللغة العربية إطلاقين: الأول قولهم: فلان سمي فلان أي مسمى باسمه. فمن كان اسمها واحداً فكلاهما سمي الآخر أي مسمى باسمه.

والثاني: إطلاق السمي يعني المسامي، أي: المماثل في السمو، والرفعة، والشرف، وهو فعيل بمعنى مفاعل من السمو بمعنى العلو والرفعة، ويكثر في اللغة إتيان الفعيل بمعنى المفاعل. كالفعيد، والجليس بمعنى: المقاعد، والمجالس. والأكيل، والشريب بمعنى: المؤاكل، والمشارب، وكذلك السمي بمعنى: المسامي، أي: المماثل في السمو، فإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله هنا: {لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} أي لم نجعل من قبله أحداً يتسمى باسمه، فهو أول من كان اسمه يحيى. وقول من قال: إن معناه: لم نجعل له سمياً، أي: نظيراً في السمو، والرفعة غير صواب؛ لأنه ليس بأفضل من إبراهيم، وموسى، ونوح، فالقول الأول هو الصواب. [٣].

٧١- يطلق الكلام على الإشارة.

[اعلم أنه على هذا القول الذي اختاره ابن كثير أن المراد بقوله: {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} أي قولي ذلك بالإشارة يدل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام، لأنها في هذه الآية سميت قولاً على هذا الوجه من التفسير. وسمع في كلام العرب كثيراً إطلاق الكلام على الإشارة، كقوله:

١- (٢٢٩/٤) (مريم/٥).

٢- وانظر أيضاً: (٦٤٨/٧-٦٤٩) (ق/١٧-١٨).

٣- (٢٣١/٤) (مريم/٧).

إذا كلمتني بالعيون الفواتر *** رددت عليها بالدموع البوادر [(١)]

٧٢- يطلق اسم الأخ على النظير المشابه، وعلى الصديق، والصاحب.

[إطلاق اسم الأخ على النظير المشابه معروف في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا}، وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُبْتَدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ}، وقوله تعالى {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُتُونَهُمْ فِي الْغَيِّْ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ}، ومنه في كلام العرب قوله:

وكل أخ يفارقه أخوه *** لعمر أبيك إلا الفرقدان

فجعل الفرقدين أخوين.

وكثيراً ما تطلق العرب اسم الأخ على الصديق والصاحب.

ومن إطلاقه على الصاحب قول القلاخ بن حزن:

أخا الحرب لباسا إليها جلالها *** وليس بولاج الخوالف أعقلا

فقوله: «أخا الحرب» يعني صاحبها. ومنه قول الراعي وقيل لأبي نؤيب:

عشية سعدي لو تراءت لراهب *** بدومة تجر دونه وحجيج

قلى دينه واهتاج للشوق إنها *** على النأي إخوان العزاء هبوج

فقوله «إخوان العزاء» يعني أصحاب الصبر [(٢)].

٧٣- يطلق الغي على كل شر، والرشاد على كل خير.

[قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}. اعلم أولاً أن العرب تطلق الغي على

كل شر، والرشاد على كل خير. قال المرقش الأصغر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره *** ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

فقوله: «ومن يغو» يعني: ومن يقع في شر. والإطلاق المشهور هو أن

الغي: الضلال [(٣)].

٧٤- يعبر عن الدوام بالبكرة والعشي، والمساء والصبح.

[قوله في هذه الآية الكريمة: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} فيه سؤال

١- (٢٧٥/٤) (مريم/٢٦).

٢- (٢٩٣/٤ - ٢٩٤) (مريم/٢٧، ٢٨).

٣- (٣٣٣/٤) (مريم/٥٩، ٦٠).

معروف، وهو أن يقال: ما وجه ذكر البكرة والعشي، مع أن الجنة ضياء دائم ولا دليل فيها. وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة: الجواب الثالث: أن العرب تعبر عن الدوام بالبكرة والعشي، والمساء والصبح، كما يقول الرجل: أنا عند فلان صباحاً ومساءً، وبكرة وعشياً. يريد الديمومة ولا يقصد الوقتين المعلومين. [١].

٧٥- يعبر بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هناك قسم أصلاً.

[قال الشنقيطي عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ آلٌ وَآرِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾: قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن الآية ليس يتعين فيها قسم. لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم، ولا قرينة واضحة دالة على القسم، ولم يتعين عطفها على القسم. والحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه، وحديث أبي هريرة المذكور المتفق عليه^(٢) لا يتعين منه أن في الآية قسماً؛ لأن من أساليب اللغة العربية التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هناك قسم أصلاً، يقولون: ما فعلت كذا إلا تحلة القسم، يعنون إلا فعلاً قليلاً جداً قدر ما يحل به الحالف قسمه، وهذا أسلوب معروف في كلام العرب، ومنه قول كعب بن زهير في وصف ناقته:

تخدي على يسرات وهي لاصقة *** ذوابل مسهن الأرض تحليل

يعني: أن قوائم ناقته لا تمس الأرض لشدة خفتها إلا قدر تحليل القسم، ومعلوم أنه لا يمين من ناقته أنها تمس الأرض حتى يكون ذلك المس تحليلاً لها كما ترى. [٣].

٧٦- إطلاقات الأثاث.

[الأثاث: متاع البيت. وقيل هو الجديد من الفرش. وغير الجديد منها يسمى «الخرثي» بضم الخاء وسكون الراء والثاء المثناة بعدها ياء مشددة. وأنشد لهذا التفصيل الحسن بن علي الطوسي قول الشاعر:

١- (٣٦٧/٤) (مريم/٦٢).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم».

٣- (٣٨٢/٤) (مريم/٧٠، ٧١).

تقادم العهد من أم الوليد بنا *** دهرًا وصار أثاث البيت خرثيا
والإطلاق المشهور في العربية هو إطلاق الأثاث على متاع البيت مطلقاً. قال
الفراء: لا واحد له. ويطلق الأثاث على المال أجمع: الإبل، والغنم، والعييد،
والمَتَاع. والواحد أثاثه. وتأثت فلان: إذا أصاب رياشاً، قاله الجوهري عن أبي زيد
[^(١)].

٧٧- حيث كلمة تدل على المكان، كما تدل حين على الزمان، ربما ضمنت معنى
الشرط.

[قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {حَيْثُ أَتَى} حيث كلمة تدل على
المكان، كما تدل حين على الزمان، ربما ضمنت معنى الشرط. فقوله: {وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} أي حيث توجه وسلك. وهذا أسلوب عربي معروف يقصد به
التعميم، كقولهم: فلان متصف بكذا حيث سير، وأية سلك، وأينما كان. ومن هذا
القبيل قول زهير:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا *** وزودوك اشتياقاً أية سلخوا [^(٢)].

٧٨- السحر يطلق على كل شيء خفي سببه، ولطف، ودق.

[اعلم أن السحر يطلق في اللغة على كل شيء خفي سببه، ولطف، ودق،
ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر، ومنه قول مسلم بن
الوليد الأنصاري:

جعلت علامات المودة بيننا *** مصائد لحظ من أخفى من السحر

فأعرف منها الوصل في لين طرفها *** وأعرف منها الهجر في النظر الشرر
ولهذا قيل لملاحة العينين: سحر؛ لأنها تصيب القلوب بسهامها في خفاء.

ومنه قول المرأة التي شببت بنصر بن حجاج السلمي:

وانظر إلى السحر يجري في لواحظه *** وانظر إلى دعج في طرفه الساجي [^(٣)].

١- (٣٨٦/٤) (مريم/٧٣ - ٧٤).

٢- (٤٨١/٤) (طه/٦٩).

٣- (٤٨١/٤ - ٤٨٢) (طه/٦٩).

٧٩- يعدى التصليب بـ « في » .

[تعدية التصليب بـ « في » أسلوب عربي معروف، ومنه قول سويد بن أبي كاهل:

هم صلبوا العبدى في جذع نخلة *** فلا عطصت شيان إلا بأجدعا
ومعلوم عند علماء البلاغة: أن في مثل هذه الآية استعارة تبعية في معنى الحرف^(١).

٨٠- إشباع الحركة بحرف مد يناسبها.

[قوله تعالى: لَوْلَقَدْ أُوحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَىٰ...]

وقرأ حمزة {لَا تَخَفُ} بسكون الفاء بدون ألف بين الخاء والفاء، وهو مجزوم؛ لأنه جزاء الطلب، أي: فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخف. وقد قدمنا أن نحو ذلك من الجزم بشرط محذوف تدل عليه صيغة الطلب، أي: أن تضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخف. وعلى قراءة الجمهور «لا تخاف» بالرفع، فلا إشكال في قوله {وَلَا تَخْشَىٰ} لأنه فعل مضارع مرفوع بضمه مقدرة على الألف، معطوف على فعل مضارع مرفوع هو قوله: {يَبَسًا لَا تَخَافُ}. وأما على قراءة حمزة {لَا تَخَفُ} بالجزم ففي قوله {وَلَا تَخْشَىٰ} إشكال معروف، وهو أنه معطوف على مضارع مجزوم، وذلك يقتضي جزمه، ولو جزم لحذفت الألف من {تَخْشَىٰ} على حد قوله في الخلاصة:

والرفع فيهما انو واحذف جازما *** ثلاثهن تقض حكماً لازماً

والألف لم تحذف فوق الإشكال بسبب ذلك.

وأجيب عنه من ثلاثة أوجه:...

والثالث: أن إشباع الحركة بحرف مد يناسبها أسلوب معروف من أساليب

اللغة العربية، كقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

وتضحك مني شيخة عبشمية *** كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا

١- (٤/٥١٤)(طه/٧١).

وقول الراجز:

إذا العجوز غضبت فطلق *** ولا ترضاها ولا تملق

وقول الآخر:

وقلت وقد خرت على الكلكال *** يا ناقتي ما جلت من مجال
وقول عنتره في معلقته:

ينباع من ذفري غضوب جسرة *** زيافة مثل الفنيق المكم

فالأصل في البيت الأول: كأن لم تر، ولكن الفتحة أشبعت. والأصل في الثاني ولا ترضاها، ولكن الفتحة أشبعت. والأصل في الثالث على الكلكال يعني الصدر، ولكن الفتحة أشبعت. والأصل في الرابع ينبع يعني أن العرق ينبع من عظم الذفري من ناقتة على التحقيق، ولكن الفتحة أشبعت، وإشباع الفتحة بألف في هذه الأبيات وأمثالها مما لم نذكره ليس لضرورة للشعر لتصريح علماء العربية بأنه أسلوب عربي معروف.

ويؤيد ذلك أنه مسموع في النثر، كقولهم في النثر: كلكال، وخاتام، وداناق، يعنون كلكلاً، وخاتماً، ودانقاً. [(١)]

٨١- السلوى يطلق على العسل.

[قوله: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى}... «السلوى» يطلق على العسل

لغة. ومنه قول خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد *** من السلوى إذا ما نشورها

يعني ألد من العسل إذا ما نستخرجها؛ لأن النشور: استخراج العسل. قال مؤرج بن عمر السدوسي: إطلاق السلوى على العسل لغة كنانة. سمي به لأنه يسلي. قاله القرطبي. إلا أن أكثر العلماء على أن ذلك ليس هو المراد في الآية. [(٢)]

٨٢- زيادة لفظة «لا» لتوكيد الكلام وتقويته في الكلام الذي فيه معنى الجحد أغلب مع أن ذلك مسموع في غيره.

[قوله تعالى: {قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ أَلا تَتَّبِعِنِ}. قال

١- (٤/٥٢١ - ٥٢٢) (طه/٧٧)، (٨/٦٣٤، ٦٣٥) (القيامة/١، ٢).

٢- (٤/٥٢٧) (طه/٨٠، ٨١).

بعض أهل العلم: « لا » في قوله: {أَلَّا تَتَّبِعْنَ} زائدة للتوكيد. واستدل من قال ذلك بقوله تعالى في «الأعراف»: {قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} قال لأن المراد: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك. بدليل قوله في القصة بعينها في سورة «ص»: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي}. فحذف لفظة «لا» في «ص» مع ثبوتها في «الأعراف» والمعنى واحد. فدل ذلك على أنها مزيدة للتوكيد.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: قد عرف في اللغة العربية أن زيادة لفظة «لا» في الكلام الذي فيه معنى الجحد لتوكيده مطردة. كقوله هنا: {مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعْنَ} أي ما منعك أن تتبعني، وقوله: {مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ} بدليل قوله في «ص»: {مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي}، وقوله تعالى: {لئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَفْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ}. أي ليعلم أهل الكتاب، وقوله {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} إي فوربك لا يؤمنون، وقوله: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} أي والسيئة، وقوله: {وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} على أحد القولين، وقوله: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} على أحد القولين، وقوله: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا} على أحد الأقوال فيها.

ونظير ذلك من كلام العرب قول امرئ القيس:

فلا وأبيك ابنة العامري *** لا يدعي القوم أني أفر

يعني فو أبيك. وقول أبي النجم:

فما ألوم البيض ألا تسخرا *** لما رأين الشمط القفندرا

يعني أن تسخر، وقول الآخر:

ما كان يرضى رسول الله دينهم *** والأطيبان أبو بكر ولا عمر

يعني وعمر. وقول الآخر:

وتلحينني في اللهو ألا أحبه *** وللهو داع دائب غير غافل

يعني أن أحبه، و«لا» مزيدة في جميع الأبيات لتوكيد الجحد فيها.

وقال الفراء: إنها لا تزداد إلا في الكلام الذي فيه معنى الجحد كالأمثلة المتقدمة. والمراد بالجحد النفي وما يشبهه كالمنع في قوله: {مَا مَنَّكَ} ونحو ذلك. والذي يظهر لنا والله تعالى أعلم: أن زيادة لفظة «لا» لتوكيد الكلام وتقويته

أسلوب من أساليب اللغة العربية، وهو في الكلام الذي فيه معنى الجحد أغلب مع أن ذلك مسموع في غيره. وأنشد الأصمعي لزيادة «لا» قول ساعدة الهذلي:

أفعنك لا برق كان وميضه *** غاب تسنمه ضرام متقب

ويروى «أفمنك» بدل «أفعنك» و«تشيمة» بدل «تسنمه» يعني أعنك برق ب«لا» زائدة للتوكيد والكلام ليس فيه معنى الجهد. ونظيره قول الآخر:

تذكرت ليلي فاعترتني صباية *** وكاد صميم القلب لا ينقطع

يعني كاد ينقطع. وأنشد الجوهري لزيادة «لا» قول العجاج:

في بئر لا حور سرى وما شعر *** بإفكه حتى رأى الصبح جسر

والحور الهلكة. يعني في بئر هلكة ولا زائدة للتوكيد. قاله أبو عبيدة وغيره. والكلام ليس فيه معنى الجحد. [(١)].

٨٣- الهمس يطلق على الخفاء، فيشمل خفض الصوت وصوت الأقدام.

[قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتَ لِلرَّحْمَنِ} أي خفضت وخفتت، وسكنت هيبة لله، وإجلالاً وخوفاً {فَلَا تَسْمَعُ} في ذلك اليوم صوتاً عالياً، بل لا تسمع {إِلَّا هَمْسًا} أي صوتاً خفياً خافتاً من شدة الخوف. أو {إِلَّا هَمْسًا} أي إلا صوت خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر.

والهمس يطلق في اللغة على الخفاء، فيشمل خفض الصوت وصوت الأقدام. كصوت أخفاف الإبل في الأرض التي فيها يابس النباتات، ومنه قول الراجز:

وهن يمشين بنا هميسا *** إن تصدق الطير نذك لميسا. [(٢)].

٨٤- العرب تقول: خلق من كذا. يعنون بذلك المبالغة في الاتصاف.

[العرب تقول: خلق من كذا. يعنون بذلك المبالغة في الاتصاف. كقولهم: خلق فلان من كرم، وخلق فلانة من الجمال. ومن هذا المعنى قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ عَلَى الْأَظْهَرِ}. [(٣)].

١- (٤/٥٤٧-٥٤٨) (طه/٩٢-٩٣)، وانظر أيضاً: (٦/٣٩٩-٤٠٠) (النمل/٢٥)، (٨/٦٣٣)،

٢- (٦٣٤) (القيامة/١، ٢).

٢- (٤/٥٦١) (طه/١٠٨).

٣- (٤/٦٢٤-٦٢٥) (الأنبياء/٣٧).

٨٥- يطلق اللبوس على كل ما يلبس.

[إذا عرفت أن اللبوس في الآية - أي قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ - الدروع فاعلم أن العرب تطلق اللبوس على الدروع كما في الآية.
ومنه قول الشاعر:

عليها أسود ضاويات لبوسهم *** سوابغ بيض لا يخرقها النبل

فقوله «سوابغ» أي دروع سوابغ، وقول كعب بن زهير:

شم العرانيين أبطال لبوسهم *** من نسج داود في الهيجا سراويل

ومراده باللبوس التي عبر عنها بالسراويل: الدروع.

والعرب تطلق اللبوس أيضاً على جميع السلاح درعاً كان أو جوشناً أو سيفاً أو رمحاً. ومن إطلاقه على الرمح قول أبي كبير الهذلي يصف رمحاً:

ومعي لبوس للبيئس كأنه *** روق بجبهة نعاج مجفل

وتطلق اللبوس أيضاً على كل ما يلبس. ومنه قول بيهس:

البس كل حالة لبوسها *** إما نعيمها وإما بوسها [(١)].

٨٦- ما ورد من وضع الحامل حملها، وشيب الولد، ونحو ذلك يوم القيامة، كناية عن شدة الهول (٢).

[قال البخاري رحمه الله في صحيحه في التفسير في باب قوله لَوَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى { حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف، أراه، قال تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد،

١- (٧٣٦/٤) (الأنبياء/٨٠).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز عقلي، ويسمى مجاز الإسناد، فقد نسب هذه الأحداث إلى الوقت الذي تقع فيه، والعلاقة هنا زمانية، وانظر الإتيان (١٠٩/٣)، وأسرار البيان (ص/١١٠ - ١١١).

وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد... الحديث^(١)... فإن قيل: هذا النص فيه إشكال، لأنه بعد القيام من القبور لا تحمل الإناث، حتى تضع حملها من الفزع، ولا ترضع، حتى تذهل عما أرضعت.

فالجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: هو ما نكره بعض أهل العلم، من أن من ماتت حاملاً تبعث حاملاً، فتضع حملها من شدة الهول والفزع، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك، ولكن هذا يحتاج إلى دليل.

الوجه الثاني: أن ذلك كناية عن شدة الهول كقوله تعالى {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} ومثل ذلك من أساليب اللغة العربية المعروفة. [٢].

٨٧- الهدى يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير، ويستعمل أيضاً في الدلالة على الشر.

[وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} ويدل على أن الهدى كما أنه يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير، يستعمل أيضاً في الدلالة على الشر، لأنه قال: {وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} ونظير في ذلك القرآن قوله تعالى {فَاهْتُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ} وقوله تعالى {وَجَعَلْنَا لَهُمُ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ} لأن الإمام هو من يقتدى به في هديه وإرشاده.

وإطلاق الهدى في الضلال كما ذكرنا أسلوب عربي معروف وكلام البلاغيين في مثل ذلك، بأن فيه استعارة عنادية، وتقسيمهم العنادية إلى تهكمية وتمليحية. [٣].

٨٨- يطلق على الأرض أنها اهتزت لاهتزاز ما بها من نبات.

[{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ} أي تحركت بالنبات. ولما كان النبات نابتاً

فيها متصلاً بها، كان اهتزازه كأنه اهتزازها فأطلق عليها بهذا الاعتبار، أنها

١- أخرجه البخاري (١٧٦٧/٤) (٤٤٦٤)، ومسلم (٢٠١/١) (٢٢٢).

٢- (١١/٥) (الحج/١، ٢).

٣- (١٨/٥) (الحج/٣، ٤).

اهتزت بالنبات. وهذا أسلوب عربي معروف] (١).

٨٩- إسناد جميع الأعمال إلى اليد (٢).

[السؤال الثاني: أنه أسند كل ما قدم إلى يديه في قوله {بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ} وكفره الذي هو أعظم نوبه، ليس من فعل اليد، وإنما هو من فعل القلب واللسان، وإن كان بعض أنواع البطش باليد، يدل على الكفر، فهو في اللسان والقلب أظهر منه في اليد. وزناه لم يفعله بيده، بل بفرجه، ونحو ذلك من المعاصي التي تزاول بغير اليد.

والجواب عن هذا ظاهر: وهو أن من أساليب اللغة العربية، التي نزل بها القرآن إسناد جميع الأعمال إلى اليد، نظراً إلى أنها الجارحة التي يزاول بها أكثر الأعمال فغلبت على غيرها، ولا إشكال في ذلك] (٣).

٩٠- الإشارة إلى القريب إشارة البعيد (٤).

[الإشارة إلى القريب إشارة البعيد أسلوب عربي معروف، وقد ذكره البخاري عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ومنه قوله {ذَلِكَ الْكِتَابُ} أي هذا القرآن؛ لأن الكتاب قريب، ولذا تكثر الإشارة إليه بإشارة القريب كقوله {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} وقوله {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ} وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، ومن إطلاق إشارة البعد على القريب قول خفاف بن ندية السلمي:

فإن تكُّ خيلي قد أصيب صَمِيمها *** فعمداً على عيني تيممتُ مالكا
أقول له والرَّمح يَطرُ مَنتهُ *** تأمل خفافاً إنني أنا ذَلِكا

١- (٣٧/٥)(الحج/٥).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من باب إقامة صيغة مقام أخرى، ونوعه همن التغليب، وانظر الإتيان (٣/١٢١). ويمكن القول أيضاً بأن هنا مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث عبر بالجزء (اليد)، وأراد باقي الأعضاء، وانظر أسرار البيان (ص/١٢٢-١٢٥).

٣- (٤٣/٥)(الحج/١٠).

٤- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع تسمية الشيء باسم ضده، والضدية هنا في المعنى فد (ذلك) للبعيد، و (هذا) للقريب، وانظر الإتيان (٣/١١٥).

فقد أشار إلى نفسه إشارة البعيد، ومعلوم أنه لا يمكن أن يكون بعيداً من نفسه] (١).
٩١- ترحلق اللام عن محلها الأصلي.

[واعلم أن اللام في {يَدْعُو لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} فيها إشكال معروف. وللعلماء عن ذلك أجوبة. نكر ابن جرير الطبري رحمه الله منها ثلاثة: أحدها - وقال عنه أنه أقربهم عنده - : أن اللام مترحقة عن محلها الأصلي، وأن ذلك من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن، والأصل: يدعو من لضره أقرب من نفعه، وعلى هذا فمن الموصولة في محل نصب مفعول به ليدعوا، واللام موطئة للقسم، داخلة على المبتدأ، الذي هو وخبره صلة الموصول، وتأكيد المبتدأ في جملة الصلة باللام، وغيرها لا إشكال فيه.

قال ابن جرير وحكي عن العرب سماعاً: منها عندي لما غيره خير منه: أي عندي ما لغيره خير منه، وأعطيتك لما غيره خير منه: أي ما لغيره خير منه.] (٢).

٩٢- اليد تطلق على العضو إلى المرفق، وإلى المنكب (٣).

[وقد تقرر في الأصول أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان لبيان نص من كتاب الله، فهو على اللزوم والتحتم. ولذا أجمع العلماء على قطع يد السارق من الكوع؛ لأن قطع النبي صلى الله عليه وسلم للسارق من الكوع بيان، وتفصيل لما أجمل في قوله تعالى {فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} لأن اليد تطلق على العضو إلى المرفق، وإلى المنكب.] (٤).

٩٣- تسمية الشيء باسم ما يحل فيه.

[اعلم أن العلماء اختلفوا في المعنى الذي منه الجمرة، فقال بعض أهل العلم:

١- (٣٣١/٥)(الحج/٢٧)، وانظر أيضاً: (٤٤/٥)(الحج/١٠)، (٣٣٧/٧)(الجاتية/٦).

٢- (٤٧/٥)(الحج/١٣).

٣- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق الكل على الجزء، حيث أن حقيقة اليد تطلق على من المنكب إلى أطراف الأصابع، وانظر الإتيان (١١١/٣)، وأسرار البيان (ص/١٢٢).

٤- (٢٠٣/٥)(الحج/٢٧).

الجمرة في اللغة: الحصاة، وسميت الجمرة التي هي موضع الرمي بذلك، لأنها المحل الذي يرمى فيه بالحصى، وعلى هذا فهو من تسمية الشيء باسم ما يحل فيه، وهو أسلوب عربي معروف، وهو عند البلاغيين من نوع ما يسمونه المجاز المرسل، والتجدير: رمي الحصى في الجمار ومنه قول بن أبي ربيعة:

بدأ لي منها معصمٌ يوم جَمَرْت * * * وكفُّ خضيبٌ زُيِّتَ ببنانِ

فوالله ما أدري وإني لحاسب * * * بسبع رميتَ الجمرَ أم بثمانِ

والمجرم بصيغة اسم المفعول مضعفاً: هو الموضع الذي ترمى فيه الجمار، ومنه قول حذيفة بن أنس الهذلي:

لأدركهم شُعْثُ النواصي كأنهم * * * سوابقُ حجاجٍ تُوافي المجرماً

وقال بعض أهل العلم: أصل الجمرة من التجرم بمعنى التجمع، تقول العرب: تجمّر القوم، إذا اجتمعوا، وانضم بعضهم إلى بعض، وجمرهم الأمر: أحوجهم إلى التجرم، وهو التجمع، وجمر الشيء: جمعه، وجمر الأمير الجيش، إذا أطال حبسهم مجتمعين بالثغر، ولم يأذن لهم في الرجوع والتفرق، وروى الربيع: أن الشافعي أنشده في ذلك قول الشاعر:

وجمّرْتنا تجميرَ كسرى جُئوده * * * ومنيبتنا حتى نسينا الأمانياً

والجمار: القوم المجتمعون، ومنه قول الأعشى:

فَمَنْ مُبْلِغٍ وائلاً قومنا * * * وأعني بذلك بكاراً جماراً

أي مجتمعين، وعلى هذا فاشتقاق الجمرة من التجرم بمعنى: التجمع لاجتماع الحجيج عندها يرمونها، وقيل: لأن الحصى يتجمع فيها، وقيل: اشتقاق الجمرة من أجمر إذا أسرع؛ لأن الناس يأتون مسرعين لرميها. وقيل: أصلها من جمرتة إذا نحيتها، وأظهرها: القول الأول، والثاني. والعلم عند الله تعالى. (١).

١- (٢٩٨/٥) (الحج/٢٧) وقال الشيخ - رحمه الله -: في فتوى له عن محل العقل: [يغلب في الكتاب والسنة إطلاق القلب وإرادة العقل وذلك أسلوب عربي معروف لأن من أساليب اللغة العربية إطلاق المحل واردة الحال فيه كعكسه والقائلون بالمجاز يسمون ذلك الأسلوب العربي مجازاً مرسلًا، ومن علاقات المجاز (المرسل) عندهم المحلية والحالية كإطلاق القلب

٩٤- يطلق الإحرام على الدخول في أي حرمة لا تهتك زمانية، أو مكانية، أو غير ذلك^(١).

[ولا خلاف بين أهل اللسان العربي في إطلاق الإحرام على الدخول في حرمة لا تهتك كالدخول في الشهر الحرام، أو في الحرم أو غير ذلك. وقال ابن منظور في اللسان: وأحرم الرجل: إذا دخل في حرمة لا تهتك، ومن إطلاق الإحرام على الدخول في الشهر الحرام، وقد أنشده في اللسان شاهداً لذلك قول زهير:

جعلن القنان عن يمين وحزنه ***
وكم بالقنان من محل ومحرم
وقول الآخر:

وإذ فتك النعمان بالناس مُحرمًا ***
فملىء من عوف بن كعب سلاسله
وقول الراعي:

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحرمًا ***
ودعا فلم أر مثله مقتولا
فتفرقت من بعد ذلك عصاهم ***
شققاً وأصبح سيفهم مسلولا
ويروى: فلم أر مثله مخذولاً، فقله: قتلوا ابن عفان الخليفة مُحرمًا: أي في الشهر الحرام وهو ذو الحجة، وقيل المعنى: أنهم قتلوه في حرم المدينة، لأن المُحرم يطلق لغة على كل داخل في حرمة لا تهتك، سواء كانت زمانية، أو مكانية أو غير ذلك.

وقال بعض أهل اللغة منهم الأصمعي: إن معنى قول الراعي: مُحرمًا في بيته المنكور كونه في حرمة الإسلام، وذمته التي يجب حفظها، ويحرم انتهاكها وأنه لم يحل من نفسه شيئاً يستوجب به القتل، ومن إطلاق المحرم على هذا المعنى الأخير قول عدي بن زيد:

قتلوا كسرى بليل مُحرمًا ***
غادروه لم يمتع بكفن

وإرادة العقل لأن القلب محل العقل و (كإطلاق) النهر الذي هو الشق في الأرض على الماء الجاري فيه كما هو معلوم في محله.]

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز العقلي، وعلاقته إما زمانية، أو مكانية، وانظر الإتيان (١٠٩/٣ - ١١٠) .

يديد قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز، مع أن له حرمة العهد الذي عاهدوه به، حين ملكوه عليهم، وحرمة الأبوة ولم يفعل لهم شيئاً يستوجب به منهم القتل. وذلك هو مراده بقوله: محرماً، وعلى تفسير قول ابن عباس: وهو محرم بما ذكر فلا تعارض بين حديث ابن عباس، وبين حديث ميمونة وأبي رافع... [(١)].

٩٥ - الأيام تطلق على ما يشمل الليالي.

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - وهو يتكلم عن حكم ذبح الهدي في ليالي الأيام المعلومات [وحجة من قال لا يجوز الذبح ليلاً: أن الله خصه بلفظ الأيام في قوله: { فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ } قالوا: وذكر اليوم يدل على أن الليل ليس كذلك. وحجة من أجازة: أن الأيام تطلق لغة على ما يشمل الليالي، وتخصيصه بالأيام أحوط، لمطابقة لفظ القرآن، والعلم عند الله تعالى.] (٢).

٩٦ - السعي يطلق على العمل في الأمر لإفساده، وإصلاحه.

[السعي يطلق على العمل في الأمر لإفساده وإصلاحه، ومن استعماله في الإفساد قوله تعالى هنا: { وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا } أي سعوا في إبطالها وتكذيبها بقولهم: إنها سحر، وشعر، وكهانة، وأساطير الأولين، ونحو ذلك، ومن إطلاق السعي في الفساد أيضاً قوله تعالى: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا } (٣) ومن إطلاق السعي في العمل للإصلاح قوله تعالى: { إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا } وقوله: { وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى } إلى غير ذلك من الآيات (٤).

ومن إطلاق السعي على الخير، والشر معاً قوله تعالى: { إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى } إلى قوله: { لَوْمًا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } وهذه الآية التي نكرها هنا في سورة

١ - (٣٦٨/٥) (الحج/٢٧).

٢ - (٥٠٢/٥) (الحج/٢٨).

٣ - ومنه قول ابن المفضل:

وَقَدْ سَعَى بَيْنَنَا الْوَأَشُونَ وَآخْتَلَفُوا *** حَتَّى تَجَنَّبْتَهَا مِنْ غَيْرِ هَجْرَانِ

٤ - ومنه قول غطيف بن تويل

حِينَ سَعَى الْفَارُوقُ فِي قَوْمِهِ *** سَعَى امْرِئٍ فِي قَوْمِهِ مُصْلِحٌ

الحج التي هي قوله تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} جاء معناها واضحا في سورة سبأ في قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ} فالعذاب من الرجز الأليم المذكور في سبأ هو عذاب الجحيم المذكور في الحج. (١)

٩٧ - معاني الفتنة في القرآن.

[وقد أوضحنا معاني الفتنة في القرآن سابقاً، وبيننا أن أصل الفتنة في اللغة وضع الذهب في النار، ليظهر بسبكه فيها أخالص هو أم زائف، وأنها في القرآن تطلق على معان متعددة منها:

الوضع في النار، ومنه قوله تعالى {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} أي يحرقون بها. وقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} أي أحرقوهم بنار الأخدود على أظهر التفسيرين.

ومنها: الاختبار وهو أكثر استعمالاتها في القرآن، كقوله تعالى {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} وقوله تعالى {وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} وقوله تعالى {وَأَلُو اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا لَّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}.

ومنها: نتيجة الابتلاء إن كانت سيئة كالكفر والضلال كقوله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي شرك بديل قوله {وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} وقوله في الأنفال {وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} ومما يوضح هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله» الحديث^(٢). فالغاية في الحديث مبينة للغاية في الآية، لأن خير ما يفسر به القرآن بعد القرآن السنة، ومنه بهذا المعنى قوله هنا {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ}.

وقد جاءت الفتنة في موضع بمعنى **الحجة**، وهو قوله تعالى في الأنعام {ثُمَّ

١ - (٥٠/٧٢٦)(الحج/٥٠، ٥١).

٢ - أخرجه البخاري (١٧/١)(٢٥)، ومسلم (٥٣/١)(٢٢) من حديث ابن عمر - رضي الله

عنهما -.

لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ { أي حجتهم كما هو الظاهر } (١).

٩٨- يسمى انطواء القلب على الأمور الخبيثة: مرضاً.

[اعلم أن مرض القلب في القرآن يطلق على نوعين:

أحدهما: مرض بالنفاق والشك والكفر، ومنه قوله تعالى في المنافقين {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} وقوله هنا {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} أي كفر وشك.

الثاني: منهما إطلاق مرض القلب على ميله للفاحشة والزنى، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} أي ميل إلى الزنى ونحوه، والعرب تسمى انطواء القلب على الأمور الخبيثة: مرضاً وذلك معروف في لغتهم ومنه قول الأعشى:

حافظ للفرج راض بالتقى *** ليس ممن قلبه فيه مرض [(٢).

٩٩- تطلق القلة، ويراد بها العدم.

[العرب تطلق القلة، وتريد بها العدم. واستدل قائل هذا القول بقول

الطرماح بن حكيم يمدح يزيد بن المهلب:

أشم ندى كثير النوادي *** قليل المثالب والقادحة

يعني: لا مثلبة فيه، ولا قادحة...

العرب تطلق القلة في لغتها، وتريد بها العدم كقولهم: مررت بأرض قليل بها

الكراث والبصل.

يعنون لا كراث فيها ولا بصل. ومنه قول ذي الرمة:

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة *** قليل بها الأصوات إلا بغامها

يريد: أن تلك الفلاة لا صوت فيها غير بغام ناقته. وقول الآخر:

فما بأس لو ردت علينا تحية *** قليلاً لدى من يعرف الحق عابها

١- (٧٣٤/٥)(الحج/٥٢)، وانظر أيضاً (٢٥٤/٦ - ٢٥٥)(النور/٦٣)، (٤٠٧/٦: ٤٠٩)

(النمل/٤٧)، (٦٢٢/٨)(المنثر/٣١).

٢- (٧٣٥/٥)(الحج/٥٢).

يعني لا عاب فيها: أي لا عيب فيها عند من يعرف الحق، وأمثال هذا كثير في كلام العرب [(١)].

١٠٠ - يطلق النكاح على الوطاء (٢).

[العرب الذين نزل القراءان بلغتهم، يطلقون النكاح على الوطاء، والتحقيق: أن النكاح في لغتهم الوطاء. قال الجوهرى في صحاحه: النكاح الوطاء، وقد يكون العقد، اهـ.]

وإنما سموا عقد التزويج نكاحاً؛ لأنه سبب النكاح أي الوطاء، وإطلاق المسبب، وإرادة سببه معروف في القراءان، وفي كلام العرب، وهو مما يسميه القائلون بالمجاز، المجاز المرسل، كما هو معلوم عندهم في محله، ومن إطلاق العرب النكاح على الوطاء، قول الفرزدق:

وذات حليل أنكحتها رماحنا *** حلال لمن بينى بها لم تطلق

لأن الإنكاح في البيت ليس المراد به عقد التزويج، إذ لا يعقد على المسيبات، وإنما المراد به الوطاء بملك اليمين والسبي مع الكفر، ومنه قوله أيضاً:

وبنت كريم قد نكحنا ولم يكن *** لها خاطب إلا السنان وعامله

فالمراد بالنكاح في هذا البيت هو الوطاء بملك اليمين، لا العقد؛ كما صرح بذلك بقوله: ولم يكن لها خاطب إلا السنان وعامله.

وقوله:

إذا سقى الله قوماً صوب غادية *** فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم *** والناكحين بشطي دجلة البقرا

ومعلوم أن نكاح البقر ليس معناه التزويج. [(٣)].

١٠١ - إطلاق المسبب وإرادة سببه، وإطلاق السبب وإرادة المسبب.

[أطلق جل وعلا في هذه الآية الكريمة - أي قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ

مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ -، الرزق وأراد المطر، لأن المطر سبب الرزق، وإطلاق

١ - (٧٦٨/٥) (المؤمنون/٥: ٧).

٢ - وانظر أيضاً الأسلوب التالي.

٣ - (٧٥/٦) (النور/٣).

المسبب وإرادة سببه لشدة الملايسة بينهما، أسلوب عربي معروف، وكذلك عكسه الذي هو إطلاق السبب وإرادة المسبب كقوله:

أكنت دماً إن لم أرعك بضرة *** بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
فأطلق الدم وأراد الدية، لأنه سببها.

وقد أوضحنا في رسالتنا المسماة: منع جواز المجاز، في المنزل للتعبد والإعجاز، أن أمثال هذا أساليب عربية، نطقت بها العرب في لغتها، ونزل بها القرآن، وأن ما يقوله علماء البلاغة من أن في الآية ما يسمونه المجاز المرسل الذي يعدون من علاقاته السببية والمسببية، لا داعي إليه، ولا دليل عليه، يجب الرجوع إليه.

وإطلاق الرزق في آية المؤمن هذه على المطر جاء مثله، في غير هذا الموضع كقوله تعالى في أول سورة الجاثية {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِّن رَّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فأوضح بقوله {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أن مراده بالرزق المطر، لأن المطر هو الذي يحيي الله به الأرض بعد موتها.

وقد أوضح جل وعلا، أنه إنما سمي المطر رزقاً، لأن المطر سبب الرزق، في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى في سورة البقرة {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ}، والباء في قوله فأخرج به سببية كما ترى. وكقوله تعالى في سورة إبراهيم: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ}. وقوله تعالى في سورة ق: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رَّزْقًا لِّلْعِبَادِ} ... [(1)].

١٠٢ - يطلق المحصنات على العفاف.

١٠٣ - يطلق الرمي على رمي الشخص لآخر بلسانه بالكلام القبيح.

[وإطلاق المحصنات على العفاف معروف في كلام العرب. ومنه قول

جرير:

١ - (٧٦/٧) (غافر/١٣)، وانظر أيضاً (٧٦/٦) (النور/٣)، (٧/٢٦٣-٢٦٤) (الزخرف/٦١).

فلا تَأْمَنَنَّ الحَيَّ قَيْسًا فَإِنَّهُمْ *** بنو محصنات لم تدينس حجورها
وإطلاق الرمي على رمي الشخص لآخر بلسانه بالكلام القبيح معروف في كلام
العرب. ومنه قول عمرو بن أحمَر الباهلي:

رمانِي بأمر كنت منه ووالدي *** بريئاً ومن أجل الطوى رمانِي
فقوله: رمانِي بأمر يعني أنه رماه بالكلام القبيح، وفي شعر امرئ القيس أو غيره:
وجرح اللسان كجرح اليد [(١)] .

١٠٤ - يطلق على سليمات الصدور، نقيّات القلوب، اسم البله مدحاً لا نمأً (٢).
[قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ}، وقد زاد في هذه
الآية كونهن مؤمنات غافلات لإيضاح صفاتهن الكريمة.

ووصفه تعالى للمحصنات في هذه الآية بكونهن غافلات ثناء عليهن بأنهن
سليمات الصدور نقيّات القلوب لا تخطر الريبة في قلوبهن لحسن سرائرهن، ليس
فيهن دهاء ولا مكر؛ لأنهن لم يجربن الأمور فلا يفتن لما تظن له المجربات
نوات المكر والدهاء، وهذا النوع من سلامة الصدور وصفائها من الريبة من أحسن
الثناء، وتطلق العرب على المتصّفات به اسم البله مدحاً لها لا نمأً، ومنه قول
حسان رضي الله عنه:

نفج الحقيبة بوصها متنضد *** بلهاء غير وشيكة الإقسام
وقول الآخر:

ولقد لهوت بطفلة ميالة *** بلهاء تطلعني على أسرارها
وقول الآخر:

عهدت بها هنداً وهند غريرة *** عن الفحش بلهاء العشاء نؤم
رداح الضحى ميالة بخترية *** لها منطوق بصبي الحليم رخيرم [(٣)] .

١ - (٨٦/٦) (النور/ ٤ - ٥) .

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق
اللفظ، وإرادة عكسه، وانظر الإتيان (١١٥/٣) .

٣ - (٨٧/٦ - ٨٨) (النور/ ٤، ٥) .

١٠٥ - يطلق النشور على الإحياء بعد الموت، وعلى الحياة بعد الموت.

[قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَلَا نُشُورًا}، اعلم أن النشور يطلق

في العربية إطلاقين:

الأول: أن يكون مصدر نشر الثلاثي المتعدّي، نقول: نشر الله الميت ينشره

نشرًا ونشورًا.

والثاني: أن يكون مصدر نشر الميت ينشر نشورًا لازمًا، والميت فاعل

نشر.

والحاصل أن في المادة ثلاث لغات:

الأولى: أنشره رباعياً بالهمزة ينشره بضم الياء إنشارًا، ومنه قوله تعالى:

{ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ}، وقوله تعالى: {وَكَانَظُرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنشُرُهَا}، بضمّ النون

وبالراء المهملة في قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وهو مضارع أنشره.

والثانية نشر الله الميت ينشره بصيغة الثلاثي المتعدّي، والمصدر في هذه

اللغة النشر والنشور، ومنه قوله هنا: {حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}، أي لا يملكون أن ينشروا

أحدًا، بفتح الياء وضمّ الشين.

والثالثة: نشر الميت بصيغة الثلاثي اللازم، ومعنى أنشره ونشره متعدّيًا

أحياء بعد الموت، ومعنى نشر الميت لازمًا حيي الميت وعاش بعد موته، وإطلاق

النشر والنشور على الإحياء بعد الموت، وإطلاق النشور على الحياة بعد الموت

معروف في كلام العرب، ومن إطلاقهم نشر الميت لازمًا فهو ناشر، أي: عاش بعد

الموت، قول الأعشى:

لو أسندت ميتًا إلى نحرها *** عاش ولم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا *** يا عجبًا للميت الناشر

ومن إطلاق النشور بمعنى الإحياء بعد الموت، مصدر الثلاثي المتعدّي،

قوله هنا: {وَلَا نُشُورًا}، أي: بعثًا بعد الموت، ومن إطلاقهم النشور بمعنى الحياة

بعد الموت مصدر الثلاثي اللازم، قول الآخر:

إذا قبلتها كرعت بفيها *** كروع العسجدية في الغدير

فيأخذني العناق مبرد فيها *** بموت في عظامي أو فتور

فنحيا تارة ونموت أخرى *** ونخلط ما نموت بالنشور
فقد جعل الغيبوية من شدة اللذة موتاً، والإفاقة منها نشوراً، أي: حياة بعد الموت. [(١)

١٠٦ - يأتي الفاعل بمعنى المفعول (٢).

[وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً}، حنف فيه أحد المفعولين، أي: اتخذوا من دونه أصناماً آلهة؛ كقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخَذُ أَصْنَاماً آلِهَةً} (الأنعام: ٧٤)، والآلهة جمع اله، فهو فاعل مجموع على أفعلة، لأن الألف التي بعد الهمزة مبدلة من همزة ساكنة هي فاء الكلمة، كما قال في «الخلاصة»:

ومدّاً أبدل ثاني الهمزين من *** كلمة إن يسكن كآثر وأتمن
والإله المعبود فهو فاعل بمعنى مفعول، إتيان الفاعل بمعنى المفعول جاءت منه أمثلة في اللغة العربية كالإله بمعنى المألوه، أي: المعبود، والكتاب بمعنى المكتوب، واللباس بمعنى: الملبوس، والإمام بمعنى المؤتم به. [(٣).

١٠٧ - تستعمل جاء وأتى بمعنى: فعل.

[العرب تستعمل جاء وأتى بمعنى: فعل، فقوله: {فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا}، أي: فعلوه، وقيل: بتقدير الباء، أي: جاءوا بظلم، ومن إتيان أتى بمعنى فعل قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا}، أي: بما فعلوه. وقول زهير بن أبي سلمى:

فما يك من خير أتوه فإنما *** توارثه آباء آبائهم قبل [(٤).

١٠٨ - أفكه بمعنى قلبه.

[اعلم بأن الإفك هو أسوأ الكذب؛ لأنه قلب للكلام عن الحق إلى الباطل،

١ - (٢٧٢/٦) (الفرقان/٣).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق المصدر على المفعول، وانظر الإتيان (١١٦/٣).

٣ - (٢٧٣/٦) (الفرقان/٣).

٤ - (٢٧٥/٦) (الفرقان/٤).

والعرب تقول: أفكه بمعنى قلبه، ومنه قوله تعالى في قوم لوط: {وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنتَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}، وقوله: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى}، وإنما قيل لها مؤتفكات؛ لأن الملك أفكها، أي: قلبها؛ كما أوضحه تعالى بقوله: {جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا}. [(١)]
١٠٩- إذا أرادوا تخصيص شيء بالفضيلة، دون غيره جاعوا بصيغة التفضيل، يريدون بها خصوص ذلك الشيء بالفضل.

[قوله تعالى: {أَذْكَاءٌ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ}... وفي هذه الآيات وأمثالها في القرآن إشكال معروف، وهو أن يقال: لفظه خير في الآيات المذكورة صيغة تفضيل كما قال في الكافية:

وغالباً أغناهم خير وشر *** عن قولهم أخير منه وأشر

كما قدمناه موضحاً في صورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: {لَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ} (٢).

والمعروف في علم العربية أن صيغة التفضيل تقتضي المشاركة بين المفضل والمفضل عليه فيما فيه التفضيل، إلا أن المفضل أكثر فيه وأفضل من المفضل عليه، ومعلوم أن المفضل عليه في الآيات المذكورة الذي هو عذاب النار لا خير فيه البتة، وإن صيغة التفضيل فيها إشكال.

والجواب عن هذا الإشكال من وجهين:

الأول: أن صيغة التفضيل قد تطلق في القرآن، وفي اللغة مراداً بها مطلق الاتصاف، لا تفضيل شيء على شيء. وقدمناه مراراً وأكثرنا من شواهد العربية في سورة النور وغيرها (٣).

الثاني: أن من أساليب اللغة العربية أنهم إذا أرادوا تخصيص شيء بالفضيلة، دون غيره جاعوا بصيغة التفضيل، يريدون بها خصوص ذلك الشيء بالفضل، كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أتهجوه ولست له بكفاء *** فشرّ كما لخيركما الفداء

١- الموضع السابق.

٢- (٣٥٢/٣)(النحل/١٢٥).

٣- (١٠٨/٦: ١١٠)(النور/٤، ٥)، وانظر أيضاً: (٢٩٥/٦)(الفرقان/١٥، ١٦).

وكقول العرب: الشقاء أحب إليك، أم السعادة؟ وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ} الآية.

قال أبو حيان في البحر المحيط في قوله تعالى: {أَذْكَاءٌ خَيْرٌ}، وخير هنا ليست تدل على الأفضلية، بل هي على ما جرت به عادة العرب في بيان فضل الشيء، وخصوصيته بالفضل نون مقابلة كقوله: فشركما لخيركما الفداء. وكقول العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة، وكقوله: {السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ. اهـ. الغرض من كلام أبي حيان. وعلى كل حال فعذاب النار شر محض لا يخالطه خير البتة كما لا يخفى^(١).

١١٠- بورا، اسم مصدر يقع على الجماعة، وعلى الواحد.

[الأصح أن قوله بوراً معناه هلكى، وأصله اسم مصدر يقع على الواحد وعلى الجماعة، فمن إطلاقه على الجماعة قوله هنا {وَكَاثِرًا قَوْمًا بُورًا} وقوله في سورة الفتح {وَوَطَّنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا} ومن إطلاقه على المفرد قول عبد الله بن الزبير السهمي رضي الله عنه:

يا رسول الملك إن لساني *** راتق ما فتقت إذ أنا بور

ويطلق البور على الهلاك. وعن ابن عباس أنها لغة أهل عمان، وهم من أهل اليمن، ومنه قول الشاعر:

فلا تكفروا ما قد صنعنا إليكم *** وكافوا به فالكفر بور لصانعه [(٢)] .

١١١- رجوع الإشارة، أو الضمير بالإفراد مع رجوعهما إلى متعدّد باعتبار المذكور^(٣).

[رجوع الإشارة، أو الضمير بالإفراد مع رجوعهما إلى متعدّد باعتبار المذكور أسلوب عربي معروف، ومنه في الإشارة قوله تعالى: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا

١- (٢٩٥/٦ - ٢٩٦) (الفرقان/١٥، ١٦).

٢- (٣٠٠/٦) (الفرقان/١٧ - ١٨).

٣- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق المفرد على المثني، ومثل له أيضاً السيوطي في الإتيان (١١٧/٣) بقوله تعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ} (التوبة: ٦٢)، قال: أي يرضوهما، فأفرد لتلازم الرضاعين.

بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}، أي: ذلك المذكور من الفارض والبكر،
 وقوله تعالى: {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، أي: بين ذلك المذكور من الإسراف والقتل،
 وقول عبد الله بن الزبيري السهمي:

إِن لِلْخَيْرِ وَاللِّشْرِ مَدَى *** وكلا ذلك وجه وقبل

أي: وكلا ذلك المذكور من الخير والشر، ومنه في الضمير قول رؤبة:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٍ *** كأنه في الجلد توليع البهق

أي: كأنه، أي: ما نكر من خطوط السواد والبلق، وقد قدّمنا هذا البيت [(١)] .

١١٢ - يطلق الموت على النوم (٢) .

[إطلاق الموت على النوم معروف في القرءان العظيم ؛ كقوله تعالى: {وَهُوَ
 الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ}، وقوله: {ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ}
 فيه دليل على ما نكره الزمخشري؛ لأن كلاً من البعث والنشور يطلق على الحياة
 بعد الموت؛ وكقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا
 فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ} [(٣)] .

١١٣ - تطلق مرج بمعنى: أرسل وخلي، وبمعنى: خلط .

[اعلم أن لفظة: {مَرَج}، تطلق في اللغة إطلاقين:

الأول: مرج بمعنى: أرسل وخلي، من قولهم: مرج دابته إذا أرسلها إلى
 المرج، وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب؛ كما قال حسان بن ثابت رضي الله
 عنه:

وكانت لا يزال بها أنيس *** خلال مروجها نعم وشاء

١ - (٦/٣٢٤)(الفرقان/٣٨)، وانظر أيضاً (٧/١٧٥)(الشورى/١١) .

٢ - قال ابن عاشور في التقرير والتحبير: [والتوفي حقيقته الإمامة؛ لأنه حقيقة في قبض الشيء
 مستوفى. وإطلاقه على النوم مجاز لشبه النوم بالموت في انقطاع الإدراك والعمل]، وقال
 البيضاوي في تفسيره (١/٤١٦): [{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ} (الأنعام: ٦٠) ينيمكم فيه
 ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهم من المشاركة في زوال الإحساس والتميز
 فإن أصله قبض الشيء بتمامه].

٣ - (٦/٣٣٣ - ٣٣٤)(الفرقان/٤٧) .

وعلى هذا، فالمعنى: أرسل البحرين وخلاهما لا يختلط أحدهما بالآخر.
والإطلاق الثاني: مرج بمعنى: خلط، ومنه قوله تعالى: {فِي أَمْرِ مَرْجٍ}، أي:
مختلط، فعلى القول الأول: فالمراد بالبحرين الماء العذب في جميع الدنيا، والماء
الملح في جميعها. [(١)]

١١٤ - عود الضمير إلى اللفظ وحده، دون المعنى.

[أسلوب عربي معروف، وهو عود الضمير إلى اللفظ وحده، دون المعنى.
وإيضاحه أن يقال في قوله: {جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا}، هي السماء المحفوظة،
ولكن الضمير في قوله: {وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا}، راجع إلى مطلق لفظ
السماء الصادق بمطلق ما علاك في اللغة، وهذا أسلوب عربي معروف وهو المعبر
عنه عند علماء العربية، بمسألة: عندي درهم ونصفه، أي: نصف درهم آخر، ومنه
قوله تعالى: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ}، أي: ولا
ينقص من عمر معمر آخر.] (٢)

١١٥ - بات الرجل يبيت، إذا أدركه الليل، نام أو لم ينم (٣).

[قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} (الفرقان: ٦٤)، قال
الزجاج: بات الرجل يبيت، إذا أدركه الليل، نام أو لم ينم، قال زهير:
فبتنا قِيَامًا عند رأس جوادنا ***
يزاولنا عن نفسه ونزاوله
انتهى بواسطة نقل القرطبي.] (٤)

١١٦ - كل صوت غير عربيّ تسميه العرب أعجم، ولو من غير عاقل.

[قوله تعالى: { وَكَلَّمَ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
مُؤْمِنِينَ } (الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩) اعلم أن كل صوت غير عربيّ تسميه العرب
أعجم، ولو من غير عاقل، ومنه قول حميد بن ثور ينكر صوت حمامة:

١ - (٣٣٨/٦) (الفرقان/٥٣).

٢ - (٣٤٨/٦) (الفرقان/٦١)، وانظر أيضاً (٦٠٦/٦ - ٦٠٧) (الأحزاب/٧٢).

٣ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى الوقت الذي يحدث
فيه، و(بات) تسند إلى الليل؛ لأن المبيت يحدث فيه. وانظر أسرار البيان (ص/١١١).

٤ - (٣٥٠/٦) (الفرقان/٦٤).

- فلم أرَ مثلي شاقه صوت مثلها *** ولا عربياً شاقه صوت أعجمًا [(١)].
- ١١٧- الجناح يطلق لغة حقيقة على يدّ الإنسان وعضده وإبطه.
- ١١٨- تطلق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع، ولين الجانب.
- ١١٩- إسناد صفات الذات لبعض أجزائها
- ١٢٠- يضاف الموصوف إلى صفته .

[الجواب عن قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}، أن الجناح هنا مستعمل في حقيقته؛ لأن الجناح يطلق لغة حقيقة على يدّ الإنسان وعضده وإبطه. قال تعالى: {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}، والخفض مستعمل في معناه الحقيقي، الذي هو ضدّ الرفع؛ لأن مريد البطش يرفع جناحيه، ومظهر الذلّ والتواضع يخفض جناحيه، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما، والتواضع لهما؛ كما قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، وإطلاق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع، ولين الجانب أسلوب معروف، ومنه قول الشاعر

وأنت الشهير بخفض الجناح *** ح فلا تكُ في رفعه أجدلاً

وأما إضافة الجناح إلى الذلّ، فلا تستلزم المجاز كما يظنّه كثير؛ لأن الإضافة فيه كالإضافة في قولك: حاتم الجود.

فيكون المعنى: وخفض لهما الجناح الذليل من الرحمة، أو الذلول على قراءة الذل بالكسر، وما يذكر عن أبي تمام من أنه لما قال:

لا تسقني ماء الملام فإنني *** صب قد استعذبت ماء بكائي

جاءه رجل فقال له: صب لي في هذا الإناء شيئاً من ماء الملام، فقال له: إن أتيتني بريشة من جناح الذل صببت لك شيئاً من ماء الملام، فلا حجة فيه؛ لأن الآية لا يراد بها أن للذّلّ جناحاً، وإنما يراد بها خفض الجناح المتّصف بالذلّ للوالدين من الرحمة بهما، وغاية ما في ذلك إضافة الموصوف إلى صفته كحاتم الجود، ونظيره في القرءان الإضافة في قوله: {مَطَرٌ السَّوَاءُ}، و {عَذَابَ الْهُونِ}،

١- (٣٨١/٦)(الشعراء/١٩٨-١٩٩).

أي: مطر حجارة السجيل الموصوف بسوئه من وقع عليه، وعذاب أهل النار الموصوف بهون من وقع عليه، والمسوخ لإضافة خصوص الجناح إلى الذل مع أن الذل من صفة الإنسان لا من صفة خصوص الجناح، أن خفض الجناح كني به عن ذل الإنسان، وتواضعه ولين جانبه لوالديه رحمة بهما، وإسناد صفات الذات لبعض أجزائها من أساليب اللغة العربية، كإسناد الكذب والخطيئة إلى الناصية في قوله تعالى: {نَاصِيَةٌ كَازِبَةٌ خَاطِئَةٌ}، وكإسناد الخشوع، والعمل، والنصب إلى الوجوه في قوله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ}، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، وفي كلام العرب. وهذا هو الظاهر في معنى الآية، ويدل عليه كلام السلف من المفسرين.

وقال ابن القيم في «الصواعق»: إن معنى إضافة الجناح إلى الذل أن للذل جناحاً معنوياً يناسبه لا جناح ريش، والله تعالى أعلم، انتهى. وفيه إيضاح معنى خفض الجناح.

والتحقيق أن إضافة الجناح إلى الذل من إضافة الموصوف إلى صفته؛ كما أوضحنا، والعلم عند الله تعالى. [(1)]

١٢١- حذف المنادى مع ذكر أداة النداء.

[قوله تعالى: { أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ } ... اعلم أن جمهور أهل العلم على ما ذكرنا في قراءة الكسائي من أن لفظة { أَلَّا } للاستفتاح والتبتيه، وأن يا حرف نداء حذف منه الألف في الخط، واسجدوا فعل أمر، قالوا: وحذف المنادى مع ذكر أداة النداء أسلوب عربي معروف، ومنه قول الأخطل:

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بكر *** وإن كان حيّانا عدى آخر الدهر
وقول ذي الرمة:

ألا يا سلمى يا دارمي على البلا *** ولا زال منهلاً بجر عاتك القطر

١- (٣٨٥/٦ - ٣٨٧) (الشعراء/٢١٥).

فقوله في البيتين: ألا يا اسلمي، أي: يا هذه اسلمي، وقول الآخر: لا يا اسلمي ذات الدماليج والعقد.

وقول الشماخ:

ألا يا اصبحاني قبل غارة سنجالي *** وقبل منايا قد حضرن وآجالي
يعني: ألا يا صبحي اصبحاني، ونظيره قول الآخر:
ألا يا اسقياني قبل خيل أبي بكر

ومنه قول الآخر:

فقال: ألا يا اسمع أعظك بخطبة *** فقلت سمعنا فانطقي وأصيبي
يعني: ألا يا هذا اسمع، وأنشد سيبويه لحذف المنادى مع ذكر أداته، قول الشاعر:
يا لعنة الله والأقوام كلهم *** والصالحين على سمعان من جار
بضمّ التاء من قوله: لعنة الله، ثم قال: فيالغير اللعنة، يعني أن المراد: يا قوم لعنة الله، إلى آخره. وأنشد صاحب اللسان لحذف المنادى، مع ذكر أداته مستشهداً لقراءة الكسائي المذكورة، قول الشاعر:

يا قاتل الله صبياناً تجيء بهم *** أم الهننيين من زندلها وارى

ثم قال: كأنه أراد: يا قوم قاتل الله صبياناً، وقول الآخر:

يا من رأى بارقاً أكفكه *** بين ذراعي وجبهة الأسد

ثم قال: كأنه دعا يا قوم يا إختي، فلما أقبلوا عليه قال: من رأى. وأنشد بعضهم لحذف المنادى مع ذكر أداته، قول عنتره في معلقته:

يا شاة ما قنص لمن حلت له *** حرمت على وليتها لم تحرم

قالوا: التقدير: يا قوم انظروا شاة ما قنص.

واعلم أن جماعة من أهل العلم، قالوا: إن يا على قراءة الكسائي، وفي جميع الشواهد التي ذكرنا ليست للنداء، وإنما هي للتببيه فكل من ألا ويا: حرف تببيه كرّر للتوكيد، وممن روي عنه هذا القول: أبو الحسن بن عصفور، وهذا القول اختاره أبو حيان في «البحر المحيط»، قال فيه: والذي أذهب إليه أن مثل هذا التركيب الوارد عن العرب ليست يا فيه للنداء، وحذف المنادى؛ لأن المنادى عندي لا يجوز حذفه، لأنه قد حذف الفعل العامل في النداء، وانحذف فاعله لحذفه، ولو حذف

المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء، وحذف متعلّقه، وهو المنادى، فكان ذلك إخلالاً كبيراً، وإذا أبقينا المنادى ولم نحذفه كان ذلك دليلاً على العامل فيه جملة النداء، وليس حرف النداء حرف جواب كنعم، ولا، وبلى، وأجل، فيجوز حذف الجمل بعدهنّ لدلالة ما سبق من السؤال على الجمل المحذوفة، فإنا عندي في تلك التراكيب حرف تنبيه أكدّ به ألا التي للتببيه، وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التوكيد، وإذا كان قد وجد التوكيد في اجتماع الحرفين المختلفي اللفظ، العاملين في قوله: فأصبحن لا يسألنني عن بما به، والمتفقي اللفظ العاملين في قوله: ولا للما بهم أبدا دواء.

وجاز ذلك، وإن عدوه ضرورة أو قليلاً، فاجتماع غير العاملين وهما مختلفا اللفظ يكون جائزاً، وليس يا في قوله: يا لعنة الله والأقوام كلّهم. حرف نداء عندي، بل حرف تنبيه جاء بعده المبتدأ، وليس مما حذف منه المنادى، لما ذكرناه. انتهى الغرض من كلام أبي حيان، وما اختاره له وجه من النظر [(١)].

١٢٢- يحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

[قوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} ... المعنى

عن اليمين قعيد

وعن الشمال قعيد، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وهو أسلوب عربي معروف، وأنشد له سيبويه في كتابه قول عمرو بن أحمر الباهلي:

رمانى بأمر كنت منه ووالدي *** بريئاً ومن أجل الطوى رمان

وقول قيس بن الخطيم الأنصاري:

نحن بما عندنا وأنت بما *** عندك راض والرأي مختلف

وقول ضبائي بن الحارث البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله *** فإني وقيار بها لغريب

فقول ابن أحمر: كنت منه ووالدي بريئاً أي كنت بريئاً منه وكان والدي

بريئاً منه.

١- (٤٠٢/٦ : ٤٠٥) (النمل/٢٥).

وقول ابن الخطيم: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض: أي نحن راضون وأنت راض.

وقول ضابيء بن الحارث: فإني وقيار بها لغريب: يعني إني لغريب وقيار غريب، وهذا أسلوب عربي معروف.

ودعوى أن قوله في الآية: {قَعِيدٌ} هي الأولى أخرت وحذفت الثانية لدلالاتها عليها لا دليل عليه، ولا حاجة إليه كما ترى، لأن المحذوف إذا صحت الدلالة عليه بالأخير فلا حاجة إلى أن هذا الأخير أصله هو الأول، ولا دليل عليه. [(١)]

١٢٣- زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل.

[من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل، وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المنكر، ومنه قول تعالى في موسى: {فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا}، وقوله: {سَنَاتِكُمْ}، وقوله: {لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ}، والمخاطب امرأته؛ كما قاله غير واحد، ونظيره من كلام العرب قول الشاعر: فإن شئت حرمت النساء سواكم *** وإن شئت لم أطمع نقاخاً ولا برداً] (٢).

١٢٤- الإتيان بأداة الترتيب لمجرد الترتيب الذكري فقط، دون إرادة ترتيب الصفات أو الموصوفات (٣).

[الترتيب بالفاء لمجرد الترتيب الذكري، والإتيان بأداة الترتيب لمجرد الترتيب الذكري فقط، دون إرادة ترتيب الصفات، أو الموصوفات أسلوب عربي معروف جاء في القرآن في مواضع، وهو كثير في كلام العرب.

ومن أمثله في القرآن العظيم، قوله تعالى: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَلَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا}، فلا يخفى أن {ثُمَّ} حرف ترتيب وأن المرتب به

١- (٦٤٩/٧) (ق/ ١٧، ١٨)، وانظر (٥٤٦/٦) (الأحزاب/٤).

٢- (٥٧٨/٦ - ٥٧٩) (الأحزاب/٣٣).

٣- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع التضمين، وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، ويكون في الحروف - كما هنا - وغيرها، وانظر الإتقان (١٢٢/٣ - ١٢٣).

الذي هو كونه {مَنْ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ} لا ترتب له على ما قبله إلا مطلق الترتيب
الذكرى، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَقَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ، كما لا يخفى أن الترتيب فيه
ذكرى.

ومن أمثلة ذلك في كلام العرب قوله:

إِن مِنْ سَادٍ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ *** ثم قد ساد قبل ذلك جدّه [(١)]

١٢٥- من للعالم (٢).

[قد علمت أن وجه العبارة بمن التي هي للعالم، في قوله تعالى: {أَمْ مَنْ
خَلَقْنَا}، عن السماوات، والأرض، والكواكب، هو تغليب ما ذكر معها من العالم
كالملائكة على غير العالم، وذلك أسلوب عربي معروف] (٣).

١٢٦- يطلق اللازب واللاتب واللازم، بمعنى واحد.

[وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {مَنْ طِينٍ لِأَرْبٍ}، اللازب: هو ما
يلزق باليد مثلاً إذا لاقته، وعبارات المفسرين فيه تدور حول ما ذكرنا، والعرب
تطلق اللازب واللاتب واللازم، بمعنى واحد، ومنه في اللازب قول علي رضي الله
عنه:

تعلم فإن الله زادك بسطة *** وأخلاق خير كلها لك لازب

وقول نابغة ذبيان:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده *** ولا يحسبون الشر ضربة لازب

فقوله: ضربة لازب، أي: شيئاً ملازماً لا يفارق، ومنه في اللاتب قوله:

فإن يك هذا من نبيذ شربته *** فإني من شرب النبيذ لتائب

صداع وتوصيم العظام وفترة *** وغمّ مع الإشراف في الجوف لاتب] (١).

١- (٦/٦٧٤ - ٦٧٥) (الصفات/ ١: ٥).

٢- ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع التغليب،
وهو ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، وانظر الإتيان (٣/١٢٢).

٣- (٦/٦٧٨) (الصفات/ ١١).

١٢٧ - الذي تأتي بمعنى الذين (٢).

[قوله تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ}. أوضح جل وعلا، أن الذي في هذه الآية بمعنى الذين، بدليل قوله بعده {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}.

وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع أن الذي تأتي بمعنى الذين، في القرآن وفي كلام العرب، فمن أمثلة ذلك في القرآن، قوله تعالى في آية الزمر هذه: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ}. وقوله تعالى في سورة البقرة {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} أي الذين استوقدوا بدليل قوله بعده: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} وقوله فيها أيضاً {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ} أي كالذين ينفقون بدليل قوله بعده {لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا}. وقوله تعالى في التوبة {وَاخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} على القول بأن الذي موصولة لا مصدرية، ونظيره من كلام العرب قول أشهب بن رميلة:

وإن الذي حانت بفلج نماؤهم *** هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقول عدیل بن الفرخ العجلي:

فبت أساقي القوم إخوتي الذي *** غوايتهم غيٌّ ورشدهم رشد

وقول الراجز:

يا رب عبس لا تبارك في أحد *** في قائم منها ولا فيمن قعد

إلا الذي قاموا بأطراف المسد [(٣).

١ - (٦/٦٧٩)(الصافات/١١).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع إطلاق المفرد على الجمع، وانظر الإتيان (٣/١١٧).

٣ - (٧/٥٤ - ٥٥)(الزمر/٣٣)، وانظر أيضاً (٧/٣٨٧ - ٣٨٨)(الأحقاف/١٧، ١٨).

١٢٨- يقال حاق به المكروه يحيق به حيقاً وحيوقاً، إذا نزل به وأحاط به، ولا يطلق إلا على إحاطة المكروه خاصة^(١).

[ما دلت عليه هذه الآية الكريمة - أي قوله تعالى: { فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِالِأَلْفِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } (غافر: ٤٥) -، من حيق المكر السييء بالماكر أوضحه تعالى في قوله: { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }.
والعرب تقول حاق به المكروه يحيق به حيقاً وحيوقاً، إذا نزل به وأحاط به، ولا يطلق إلا على إحاطة المكروه خاصة، يقال حاق به السوء والمكروه، ولا يقال حاق به الخير، فمادة الحيق من الأجوف الذي هو يأتي العين، والوصف منه حائق على القياس، ومنه قول الشاعر:

فأوطأ جُرْدَ الخيل عقر ديارهم *** وحاَقَ بهم من يأس ضبَّة حائق [(٢).

١٢٩- النعت بالمصدر.

[قوله تعالى في هذه الآية الكريمة {صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ} من النعت بالمصدر؛ لأن الهون مصدر بمعنى الهوان، والنعت بالمصدر أسلوب عربي معروف، أشار إليه في الخلاصة بقوله:

ونعتوا بمصدر كثيرا *** فالتزموا الإفراد والتنكيراً

وهو موجه بأحد أمرين:

أحدهما: أن يكون على حذف مضاف. أي العذاب ذي الهون.

والثاني: أنه على سبيل المبالغة، فكأن العذاب لشدة انتصافه بالهوان اللاحق

بمن وقع عليه، صار كأنه نفس الهوان، كما هو معروف في محله [(٣).

١٣٠- يطلق الجزء مراداً به البنات.

[قوله تعالى: { وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا }، قول قتادة ومن وافقه: إن

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز العقلي حيث أسند الفعل إلى ما يلابسه، فالمكر يلابس النزول، وانظر الإتيان (١٠٩/٣)، وفيه أيضاً عندهم استعارة تبعية الواقعة على سبيل التمثيلية، لأن (يحيق) بمعنى (يحيط) فلا يستعمل إلا في الأجسام، وانظر الإتيان (١٦٢/٣).

٢- (٩٠/٧ - ٩١) (غافر/٤٥ - ٤٦)

٣- (١٣٠/٧) (فصلت/١٧).

المراد بالجزء العدل والنظير الذي هو الشريك غير صواب أيضاً؛ لأن إطلاق الجزء على النظير ليس بمعروف في كلام العرب.

أما كون المراد بالجزاء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث، فهذا هو التحقيق في الآية.

وإطلاق الجزء على الولد يوجه بأمرين:

أحدهما: ما ذكره بعض علماء العربية من أن العرب تطلق الجزء مراداً به البنات، ويقولون:

أجزأت المرأة إذا ولدت البنات، وامرأة مجزئة أي تلد البنات، قالوا ومنه قول الشاعر:

إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب *** قد تجزىء الحرة المذكار أحياناً
وقول الآخر:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة *** للعوسج اللدن في أبياتها زجل
... والوجه الثاني: وهو التحقيق إن شاء الله أن المراد بالجزء في الآية الولد، وأنه أطلق عليه اسم الجزء، لأن الفرع كأنه جزء من أصله والولد كأنه بضعة من الوالد كما لا يخفى... [(١)]

١٣١ - إن كان بمعنى ما كان (٢).

[الذي يظهر لي في معنى هذه الآية الكريمة - أي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ - : أنه يتعين المصير إلى القول بأن إن نافية، وأن القول بكونها شرطية لا يمكن أن يصح له معنى بحسب وضع اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وإن قال به جماعة من أجلاء العلماء.

وإنما اخترنا أن { إن } هي النافية لا الشرطية، وقلنا إن المصير إلى ذلك متعين في نظرنا لأربعة أمور:

١ - (٧/٢١٥ - ٢١٦) (الزخرف/١٥).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع التضمين، وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، فإن الشرطية ضمنت معنى النفي، وانظر الإتقان (٣/١٢٢ - ١٢٣).

الأول: إن هذا القول جار على الأسلوب العربي، جريئاً واضحاً، لا إشكال فيه، فكون إن كان بمعنى ما كان كثير في القرآن، وفي كلام العرب كقوله تعالى: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} أي ما كانت إلا صيحة واحدة. فقولك مثلاً معنى الآية الكريمة: ما كان لله ولد فأنا أول العابدين، الخاضعين للعظيم الأعظم، المنزه عن الولد أو الأنفين المستكفين، من أن يوصف ربنا بما لا يليق بكماله وجلاله، من نسبة الولد إليه، أو الجاحدين النافين، أن يكون لربنا ولد، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً لا إشكال فيه، لأنه جار على اللغة العربية، التي نزل بها القرآن، دال على تنزيه الله، تنزيهاً تاماً عن الولد، من غير إيهام ألبتة لخلاف ذلك... [(١)]

١٣٢ - يطلق الفعيل وصفاً بمعنى المفعول.

[وقوله في هذه الآية الكريمة: {لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ} (سبأ: ٥)، أصح القولين فيه أن المراد بالرجز العذاب، ولا تكرار في الآية لأن العذاب أنواع متفاوتة والمعنى لهم عذاب، من جنس العذاب الأليم، والأليم معناه المؤلم. أي الموصوف بشدة الألم وفضاعته.

والتحقيق إن شاء الله: أن العرب تطلق الفعيل وصفاً بمعنى المفعول، فما ينكر عن الأصمعي من أنه أنكر ذلك إن صح عنه فهو غلط منه، لأن إطلاق الفعيل بمعنى المفعول معروف في القرآن العظيم وفي كلام العرب، ومن إطلاقه في القرآن العظيم قوله تعالى: {عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي مؤلم وقوله تعالى: {يَبْدِئُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} أي مبدعهما وقوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ}. أي منذر لكم، ونظير ذلك من كلام العرب قول عمرو بن معد يكرب:

أمن ريحانة الداعي السميع *** يؤرقني وأصحابي هجوع
 فقوله الداعي السميع يعني الداعي المسمع. وقوله أيضاً:
 وخيل قد دلفت لها بخيل *** تحية بينهم ضرب وجيع
 أي موجع. وقول غيلان بن عقبة:

ويرفع من صدور شمردلات *** يصك وجوهها وهج أليم
[أي مؤلم] (١).

١٣٣- يطلق المثل، على الذات نفسها.

[قوله تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ}. التحقيق: إن شاء الله، أن هذه الآية الكريمة جارية على أسلوب عربي معروف، وهو إطلاق المثل، على الذات نفسها، كقولهم: مثلك، لا يفعل هذا، يعنون لا ينبغي لك أنت أن تفعله. وعلى هذا فالمعنى، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أن هذا القرآن، وحي منزل حقاً من عند الله، لا أنه شهد على شيء آخر مماثل له، ولذا قال تعالى {فَأَمَّا مَنْ زُكِّرَتْ لَعْنَتُهُمْ}.]

ومما يوضح هذا، تكرر إطلاق المثل في القرآن مراداً به الذات كقوله تعالى {أُوْمَنَ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ}، فقوله: كمن مثله في الظلمات، أي كمن هو نفسه في الظلمات، وقوله تعالى {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} أي فإن آمنوا بما آمنتم به لا بشيء آخر مماثل له على التحقيق، ويستأنس له بالقراءة المروية عن ابن عباس وابن مسعود {فإن آمنوا بما آمنتم به} الآية. [(٢).

١٣٤- يعرضون على النار: معناه يباشرون حرها كقول العرب: عرضهم على السيف إذا قتلهم به.

١٣٥- قلب الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً.

[قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْ طَبَائِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}. معنى الآية الكريمة أنه يقال للكفار يوم يعرضون على النار: {أَذْهِبْتُ طَبَائِكُمْ}.

فقوله يعرضون على النار: قال بعض العلماء: معناه يباشرون حرها كقول العرب: عرضهم على السيف إذا قتلهم به، وهو معنى معروف في كلام العرب.

١- (٣٥٠/٧) (الجاثية/١١).

٢- (٣٨٠/٧) (الأحقاف/١٠).

وقد ذكر تعالى مثل ما ذكر هنا في قوله: { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ } وهذا يدل على أن المراد بالعرض مباشرة العذاب لقوله: { قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }. وقوله تعالى: { وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا } لأنه عرض عذاب.

وقال بعض العلماء: معنى عرضهم على النار هو تقريبهم منها، والكشف لهم عنها، حتى يروها كما قال تعالى: { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ }. وقال تعالى: { وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ }.

وقال بعض العلماء: في الكلام قلب، وهو مروى عن ابن عباس وغيره. قالوا: والمعنى ويوم تعرض النار على الذين كفروا قالوا وهو كقول العرب: عرضت الناقة على الحوض. يعنون عرضت الحوض على الناقة، ويدل لهذا قوله تعالى: { وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا }.

قال مقيد عفا الله عنه وغفر له: هذا النوع الذي ذكره من القلب في الآية، كقلب الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً، ونحو ذلك اختلف فيه علماء العربية، فمنعه البلاغيون إلا في التشبيه، فأجازوا قلب المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً بشرط أن يتضمن ذلك نكتة وسراً لطيفاً كما هو المعروف عندهم في مبحث التشبيه المقلوب. وأجازه كثير من علماء العربية.

والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي نطقت به العرب في لغتها، إلا أنه يحفظ ما سمع منه، ولا يقاس عليه ومن أمثله في التشبيه قول الراجز:

ومنهل مغبرة أرجاؤه *** كأن لون أرضه سماؤه

أي كأن سماه لون أرضه، وقول الآخر:

وبدا الصباح كأن غرته *** وجه الخليفة حين يمدح

لأن أصل المراد تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح فقلب التشبيه ليوهم أن الفرع أقوى من الأصل في وجه الشبه.

قالوا ومن أمثله في القرآن { وَأَنبَأَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَقَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ }؛ لأن العصبية من الرجال هي التي تنوء بالمفاتيح أي تنهض بها بمشقة وجهه لكثرتها وثقلها، وقوله تعالى: { فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ } أي عموا عنها. ومن

أمثله في كلام العرب قول كعب بن زهير:

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت *** وقد تلتف بالخور العساقيل

لأن معنى قوله: تلتف لبس اللفاح وهو اللحاف، والقور الحجارة العظام، والعساقيل: السراب. والكلام مقلوب، لأن القور هي التي تلتحف بالعساقيل لا العكس كما أوضحه لبيد في معلقته بقوله:

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحي *** واجتاب أردية السراب إكامها

فصرح بأن الإكام التي هي الحجارة اجتابت أي لبست أردية السراب. والأردية جمع رداء، وهذا النوع من القلب وإن أجاز به بعضهم فلا ينبغي حمل الآية عليه، لأنه خلاف الظاهر، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه.

وظاهر الآية جار على الأسلوب العربي الفصيح، كما أوضحه أبو حيان

في البحر المحيط. (١).

١٣٦ - يسند الفعل إلى ما هو له أصالة لملاسته له (٢).

[قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ تَجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ

بِغَيْرِ الْحَقِّ} (الأحقاف: ٢٠) مع أنه من المعلوم أنهم لا يستكبرون في الأرض إلا استكباراً متلبساً بغير الحق كقوله تعالى: {وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ} ومعلوم أنه لا يطير إلا بجناحيه، وقوله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ}، ومعلوم أنهم لا يكتبونه إلا بأيديهم، ونحو ذلك من الآيات، وهو أسلوب عربي نزل به القرآن. (٣).

١٣٧ - الفعال يأتي كثيراً، بمعنى التفعيل.

[قوله تعالى: {بَلَاغٌ}. التحقيق إن شاء الله أن أصوب القولين في قوله:

{بَلَاغٌ} أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره، هذا بلاغ، أي هذا القرآن بلاغ من الله إلى خلقه.

ويدل لهذا قوله تعالى في سورة إبراهيم {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ}، وقوله

١ - (٣٩٠/٧: ٣٩٢) (الأحقاف/٢٠).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو مجاز الإسناد، والمجاز العقلي، وعلاقته الملابس، وانظر الإتيان (١٠٩/٣).

٣ - (٣٩٦/٧) (الأحقاف/٢٠).

في الأنبياء {إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ}، وخير ما يفسر به القرآن القرآن. والبلاغ اسم مصدر، بمعنى التبليغ، وقد علم باستقراء اللغة العربية، أن الفعل يأتي كثيراً، بمعنى التفعيل، كبلغه بلاغاً: أي تبليغاً، وكلمه كلاماً، أي تكليماً، وطلقها طلاقاً، وسرحها سراحاً، وبينه بياناً. كل ذلك بمعنى التفعيل، لأن فعل مضعفة العين، غير معتلة اللام ولا مهموزته قياس مصدرها التفعيل. وما جاء منه على خلاف ذلك، يحفظ ولا يقاس عليه، كما هو معلوم في محله. [(١)]

١٣٨ - لفظة "اليدين" التي أضيفت إليها لفظة "بين" يكون المراد: "أمامه". [واعلم أن لفظ اليدين، قد يستعمل في اللغة العربية استعمالاً خاصاً، بلفظ خاص لا تقصد به في ذلك النعمة ولا الجارحة ولا القدرة، وإنما يراد به معنى أمام.

واللفظ المختص بهذا المعنى هو خاصة، أعني لفظة بين يديه، فإن المراد بهذه اللفظة أمامه. وهو استعمال عربي معروف مشهور في لغة العرب لا يقصد فيه معنى الجارحة ولا النعمة ولا القدرة، ولا أي صفة كائنة ما كانت. وإنما يراد به أمام فقط كقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} أي ولا بالذي كان أمامه سابقاً عليه من الكتب. وكقوله: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ} أي مصدقاً لما كان أمامه متقدماً عليه من التوراة.

وكقوله: {فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}، فالمراد بلفظ ما بين أيديهم ما أمامهم.

وكقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}، أي يرسل الرياح مبشرات أمام رحمته التي هي المطر، إلى غير ذلك من الآيات. ومما يوضح لك ذلك أنه لا يمكن تأويل اليدين في ذلك بنعمتين ولا قدرتين ولا جارحتين. ولا غير ذلك من الصفات، فهذا أسلوب خاص دل على معنى خاص. بلفظ خاص مشهور، في كلام العرب فلا صلة له باللفظ الدال على

الجارحة، بالنسبة إلى الإنسان ولا باللفظ الدال على صفة الكمال والجلال الثابتة لله تعالى. فافهم [(١)].

١٣٩- تطلق الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيصة بعضها على بعض (٢).

[واعلم أن العرب قد تطلق بعض هذه الست (٣) على بعض كإطلاق البطن على القبيلة في قول الشاعر:

وإن كلابا هذه عشر أبطن *** وأنت بريء من قبائلها العشر [(٤)].

١٤٠- شدة الخلق تسمى حبكاً.

[قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} (الذريات: ٧)... وقال بعض العلماء: ذات الحبك أي ذات الشدة، وهذا القول يدل له قوله تعالى: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا}. العرب تسمى شدة الخلق حبكاً، ومنه قيل للفرس الشديد الخلق: محبوبك. ومنه قول امرئ القيس.

قد غدا يحملني في أنفه *** لاحق الأطلين محبوبك ممر [(٥)].

١٤١- تطلق السماء على كل ما علاك.

[وقال بعض أهل العلم: معنى قوله: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ} أن أرزاقكم

١- (٧/٤٦٥: ٤٦٦) (محمد / ٢٤).

٢- ولا يخلو الأمر من إطلاق الأكبر منها على الأصغر، أو العكس، ويكون نوع المجاز فيه عند القائلين به هو مجاز مرسل، وعلاقته إما جزئية، أو كلية، وانظر الإتيان (٣/١١١)، وأسرار البيان (ص/١٢٢).

٣- أي الطبقات الست التي عليها العرب وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيصة.

فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمام، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ والفخذ يجمع الفصائل. خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيصة. وسميت الشعوب، لأن القبائل تنتشعب منها. (نقلاً عن أضواء البيان (٧/٦٣٥ - ٦٣٦)).

٤- (٧/٦٣٦) (الحجرات/١٣).

٥- (٧/٦٦٣) (الذريات/٧: ٩).

مقدرة مكتوبة، والله جل وعلا يدبر أمر الأرض من السماء، كما قال تعالى: {يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} الآية، قوله تعالى: {وَمَا تَوْعَدُونَ} ما، في محل رفع عطف على قوله: {رَزَقَكُمْ}، والمراد بما يوعدون، قال بعض أهل العلم: الجنة، لأن الجنة فوق السماوات، فإطلاق كونها في السماء إطلاق عربي صحيح، لأن العرب تطلق السماء على كل ما علاك كما قيل:

وقد يسمى سماء كل مرتفع *** وإنما الفضل حيث الشمس والقمر

ولما حكى النابغة الجعدي شعره المشهور، قال فيه:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا *** وإنما لندرجو فوق ذلك مظهرا

قال له صلى الله عليه وسلم «إلى أين يا أبي ليلى: قال: إلى الجنة، قال: نعم إن شاء الله» [١]. (٢).

١٤٢ - يطلق اسم الذنوب، التي هي الدلو، على النصيب.

[قوله تعالى: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ}. أصل الذنوب في لغة العرب الدلو، وعادة العرب أنهم يقتسمون ماء الآبار والقلب بالدلو، فيأخذ هذا منه ملء دلو، ويأخذ الآخر كذلك، ومن هنا أطلقوا اسم الذنوب، التي هي الدلو على النصيب. قال الراجز في اقتسامهم الماء بالدلو:

لنا ذنوب ولكم ذنوب *** فإن أبيتم فلنا القلب

ويروى:

إننا إذا شاربنا شريب *** له ذنوب ولنا ذنوب

فإن أبي كان لنا القلب

ومن إطلاق الذنوب على مطلق النصيب قول علقمة بن عبدة التميمي، وقيل:

عبيد:

وفي كل حي قد خبطت بنعمة *** فحق لشأس من نذاك ذنوب

١ - قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٢٣٠): [رواه البغوي في معجم الصحابة، وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة]. وذكره البزار بنحوه في المجمع (٨/ ٢٣٣): [رواه البزار، وفيه يعلى بن الأشدق، وهو ضعيف].

٢ - (الذاريات/ ٧) (٦٦٧/ ٧) (٢٢: ٢٠).

وقول أبي ذؤيب:

لعمرك والمنايا طارقات *** لكل بني أب منها ذنوب

فالذنوب في البيتين النصيب، ومعنى الآية الكريمة، فإن للذين ظلموا بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ذنوباً، أي نصيباً من عذاب الله مثل ذنوب أصحابهم من الأمم الماضية من العذاب لما كذبوا رسلهم [(١)].

١٤٣ - التنازع يطلق على كل تعاط وتناول.

[قوله: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا}: أي يتعاطون، ويتناول بعضهم من بعض كأساً أي خمرًا، فالتنازع يطلق لغة على كل تعاط وتناول، فكل قوم يعطي بعضهم بعضاً شيئاً ويأوله إياه، فهم يتنازعونه كتنازع كؤوس الشراب والكلام، وهذا المعنى معروف في كلام العرب.

ومنه في الشراب قول الأخطل:

وشارب مريح بالكأس نادمني *** لا بالحصور ولا فيها بسوار

نازعه طيب الراح الشمول وقد *** صاح الدجاج وحانت وقعة السار

فقوله: نازعه طيب الراح: أي ناولته كؤوس الخمر وناولنيها، ومنه في الكلام قول امرئ القيس:

ولما تنازعا الحديث وأسمحت *** هصرت بغصن ذي شماريخ ميال [(٢)].

١٤٤ - لا تكاد العرب تطلق الكأس إلا على الإناء المملوء (٣).

وقال قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - عقب كلامه السابق: [والكأس

تطلق على إناء الخمر، ولا تكاد العرب تطلق الكأس إلا على الإناء المملوء، وهي مؤنثة (٤)] (٥).

١ - (٦٧٨/٧) (الذاريات/٥٩).

٢ - (٦٨٧/٧) (الطور/٢٣).

٣ - وإطلاق الكأس على ما به من شراب، فيه عند القائلين بالمجاز، مجاز مرسل، علاقته المجاورة، وانظر أسرار البيان (ص/١٢٥).

٤ - قال الخطابي في غريب الحديث (٢/٢٤٥): [الكأس تؤنث على نية الخمر].

٥ - (٦٨٧/٧ - ٦٨٨) (الطور/٢٣).

١٤٥ - يطلق السموم على الريح الشديدة البرد^(١).

[قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}... والسموم النار ولفحها ووهجها، وأصله الريح الحارة التي تدخل المسام، والجمع سمائم. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أنامل لم تضرب على البهم بالضحى *** بهن ووجه لم تلحه السمائم

وقد يطلق السموم على الريح الشديدة البرد، ومنه قول الراجز:

اليوم يوم بارد سموه *** من جزع اليوم فلا ألومه [(٢).

١٤٦ - لن يحور، بمعنى لن يرجع.

[ذكر تعالى أن السرور في الدنيا وعدم الخوف من الله سبب العذاب يوم القيامة، وذلك في قوله: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصَلَّى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}.

وقد تقرر في مسلك الإيماء والتنبيه أن إن المكسورة المشددة من حروف التعليل، فقوله: {إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}، علة لقوله: {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصَلَّى سَعِيرًا}.

والمسرور في أهله في دار الدنيا ليس بمشقق ولا خائف، ويؤيد ذلك قوله بعده: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}، لأن معناه، ظن أن يرجع إلى الله حياً يوم القيامة، ولا شك أن من ظن أنه لا يبعث بعد الموت لا يكون مشفقاً في أهله خوفاً من العذاب، لأنه لا يؤمن بالحساب والجزاء، وكون لن يحور، بمعنى لن يرجع معروف في كلام العرب، ومنه قول مهلهل بن ربيعة التغلبي:

أليلتنا بذى حسم أنيري *** إذا أنت انقضيت فلا تحوري

فقوله: فلا تحوري، أي فلا ترجعي.

وقول لبيد بن ربيعة العامري:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه *** يحور رماداً بعد ما هو ساطع

١ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع تسمية الشيء باسم ضده، وانظر الإيقان (١١٥/٣).

٢ - (٦٩٠/٧)(الطور/٢٦، ٢٧).

أي يرجع رماداً، وقيل: يصير، والمعنى واحد.] (١).

١٤٧- يطلق المنون على الموت.

[قال بعض العلماء: المنون في الآية - أي قوله تعالى: لَنْتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ - الموت، وإطلاق المنون على الموت معروف في كلام العرب، ومنه قول أبي الغول الطهوي:

هم منعوا حمى الوقبي بضرب *** يؤلف بين أشنات المنون

لأن الذين ماتوا عند ذلك الماء المسمى بالوقبا، جاعوا من جهات مختلفة، فجمع الموت بينهم في محل واحد، ولو ماتوا في بلادهم لكانت مناياهم في بلاد شتى.] (٢).

١٤٨- لا تكاد العرب تطلق لفظ النجم مجرداً إلا على الثريا.

[قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّٰ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}. اختلف العلماء في المراد بهذا النجم الذي أقسم الله به في هذه الآية الكريمة... قال بعضهم: إن المراد به الثريا، وهو مروى عن ابن عباس وغيره، ولفظة النجم علم للثريا بالغلبة، فلا تكاد العرب تطلق لفظ النجم مجرداً إلا عليها، ومنه قول نابغة نبيان:

أقول والنجم قد مالت أواخره *** إلى المغيب تثبت نظرة حار] (٣).

١٤٩- أمني الرجل ومني إذا أراق المني وصبه.

[قوله تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ}. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه خلق الزوجين أي النوعين الذكر، والأنثى من نطفة، وهي نطفة المني إذا تمنى أي تصب وتراق في الرحم، على أصح القولين.

ويدل قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَعُنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} وقوله تعالى: {لَمَّا يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنَىٰ يُمْنَىٰ}.

١- (٦٩١/٧)(الطور/٢٦، ٢٧).

٢- (٦٩٣/٧)(الطور/٢٩، ٣٠).

٣- (٦٩٩/٧)(النجم/١: ٤)، وانظر أيضاً (١٥٦/٩)(الطارق/١).

والعرب تقول: أمني الرجل ومنى إذا أراق المني وصبه [(١)].
 وقال الشنقيطي - رحمه الله - أيضاً: [وقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ} يعني أفرأيتم ما تصبونه من المني في أرحام النساء، فلفظة ما موصولة، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد إلى الصفة محذوف، لأنه منصوب بفعل، والتقدير: أفرأيتم ما تمنونه، والعرب تقول: أمني النطفة بصيغة الرباعي، يمنيها بضم حرف المضارعة، إذا أراقها في رحم المرأة، ومنه قوله تعالى: {مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} ومنى يمني بصيغة الثلاثي لغة صحيحة، إلا أن القراءة بها شاذة.] (٢).

١٥٠- منى الماني إذا قدر.

[قال بعض العلماء: {مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} أي تقدر بأن يكون الله قدر أن ينشأ منها حمل، من قول العرب: منى الماني إذا قدر. ومن هذا المعنى قول أبي قلابة الهذلي، وقيل سويد بن عامر المصطلقى:

لا تأمن الموت في حل وفي حرم *** إن المنايا توافي كل إنسان
 واسلك سبيلك فيها غير محتشم *** حتى تلاقي ما يمني لك الماني] (٣).

١٥١- تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله، وعاطاه إذا تناوله.

[قوله تعالى: {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}. قوله: {فَتَعَاطَى}، قال أبو حيان في البحر: فتعاطى هو مطاوع عاطا، وكأن هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضاً، فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده. انتهى محل الغرض منه.
 والعرب تقول: تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله، وعاطاه إذا تناوله، ومنه قول حسان رضي الله عنه:

كلتاها حلب العصير فعاطني *** بزجاجة أرخاها للمفصل
 وقوله: {فَعَقَرَ} أي تعاطى عقر الناقة فعقرها، فمفعولا الفعلين محذوفان تقديرهما كما ذكرنا] (٤).

١- (٧١١/٧) (النجم/٤٥، ٤٦).

٢- (٧٨٥/٧) (الواقعة/٥٨، ٥٩).

٣- (٧١١/٧) (النجم/٤٥، ٤٦).

٤- (٧٢٣/٧) (القمر/٢٩).

١٥٢- يطلق العقر على القتل والنحر والجرح.

[قوله تعالى: {فَعَقَرَ}: أي قتلها. والعرب تطلق العقر على القتل والنحر والجرح ومنه قول امرئ القيس:

تقول وقد مال الغبيط بنا معا *** عقرت بعيري يامراً القيس فانزل

ومن إطلاق العقر على نحر الإبل لقري الضيف قول جرير:

تعدون عقر الذيب أفضل مجدكم *** بني ضوطرا لولا الكمي المقنعا [(١).

١٥٣- يطلق كان بمعنى صار.

[قوله تعالى: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}. أي صرتم أزواجاً ثلاثة، والعرب تطلق كان بمعنى صار، ومنه {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} أي فتصيرا من الظالمين.

ومنه قول الشاعر:

بتيهاء قفر والمطي كأنها *** قطا الحزن قد كانت فراخاً بيوضها [(٢).

١٥٤- كل نسج أحكم ودوخل بعضه في بعض، تسمية العرب وضنا، وتسمى المنسوج به موضونا ووضينا.

[قوله تعالى: {عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مَّتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ}. السرر جمع سرير، وقد بين تعالى: أن سررهم مرفوعة في قوله: في الغاشية {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ} وقوله تعالى {مَّوْضُونَةٍ} منسوجة بالذهب، وبعضهم يقول بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت، وكل نسج أحكم ودوخل بعضه في بعض، تسمية العرب وضنا، وتسمى المنسوج به موضونا ووضينا، ومنه الدرع الموضونة إذا أحكم نسجها ودوخل بعض حلقاتها في بعض.

ومنه قول الأعشى:

ومن نسج داود موضونة *** تساق مع الحي عيرا فعيরা
وقوله أيضاً:

وبيضاء كالنهي موضونة *** لها قونس فوق جيب البدن

١- (٧/٧٢٤)(القمر/٢٩).

٢- (٧/٧٦٧)(الواقعة/٧).

ومن هذا القبيل تسمية البطن الذي ينسج من السيور، مع إدخال بعضها في بعض وضيئنا.

ومنه قول الراجز:

ليك تعدو قلقتا وضيئنا *** معترضا في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها [(١)].

١٥٥ - تسمى المرأة لباساً وإزاراً وفراشاً ونعللاً.

[قوله تعالى: { إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرْباً أَثْرَاباً لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ } . الضمير في أنشأناهن: قال بعض أهل العلم: هو راجع إلى مذكور. قال: هو راجع إلى قوله { وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ } قال: لأن المراد بالفُرُش النساء، والعرب تسمى المرأة لباساً، وإزاراً، وفراشاً، ونعللاً، وعلى هذا فالمراد بالرفع في قوله: { مَّرْفُوعَةٍ } رفع المنزلة، والمكانة. [(٢)].

١٥٦ - تأتي أو بمعنى الواو [(٣)].

[إتيانها - أي أو - بمعنى الواو معروف في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن: { فَالْمُتَّقِيَاتِ ذِكْرًا عُنْرًا أَوْ نُحْرًا } لأن الذكر الملقى للعدو، والنذر معاً لا لأحدهما، لأن المعنى أنها أتت الذكر إعداراً وإنذاراً، وقوله تعالى: { وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا } أي ولا كفوراً، وهو كثير في كلام العرب، ومنه قول عمرو بن معد يكرب:

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم *** ما بين ملجم مهرة أو سافع

فالمعنى ما بين الملجم مهره وسافع: أي أخذ بناصيته ليلجمه، وقول نابغة:

ذبيان:

قالت ألا ليئما هذا الحمام لنا *** لي حمامتنا أو نصفه فقد

١ - (٧٧١/٧) (الواقعة/١٥، ١٦).

٢ - (٧٧٤/٧) (الواقعة/٣٨، ٣٥).

٣ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو المجاز في مفرد، ويسمى اللغوي، من نوع التضمين، وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، ويكون في الحروف - كما هنا - وغيرها، وانظر الإتيان (١٢٢/٣ - ١٢٣).

فحسبوه فألفوه كما زعمت *** ستا وستين لم تنقص ولم تزد
 فقوله: أو نصفه بمعنى ونصفه كما هو ظاهر من معنى البيتين المذكورين،
 لأن مرادها أنها تمت أن يكون الحمام المار بها هو ونصفه معه لها مع حمامتها
 التي معها، ليكون الجميع مائة حمامة، فوجدوه ستاً وستين ونصفها ثلاث وثلاثون،
 فيكون المجموع تسعاً وتسعين، والمروي في ذلك عنها
 أنها قالت:

ليت الحمام ليه *** إلى حمامتيه
 ونصفه قديه *** تم الحمام مايه

وقول توبة بن الحمير:

قد زعمت ليلى بأني فاجر *** لنفسي تقاها أو عليها فجورها [(١)] .

١٥٧ - يطلق النزول على عذاب أهل النار على سبيل التهكم والاحتقار (٢) .

[قوله تعالى: {هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} . النزول بضمين: هو رزق الضيف الذي
 يقدم له عند نزوله إكراماً له، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}، وربما استعملت العرب النزول في ضد
 ذلك على سبيل التهكم والاحتقار، وجاء القرآن باستعمال النزول فيما يقدم لأهل
 النار من العذاب كقوله هنا: في عذابهم المذكور في قولهم: {لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ
 زُكُومٍ} إلى قوله: {شَرِبَ الْهَيْمِ هَذَا نُزُلُهُمْ} أي هذا العذاب المذكور هو ضيافتهم
 ورزقهم المقدم لهم عند نزولهم في دارهم التي هي النار، كقوله تعالى للكافر الحقير
 الذليل: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إطلاق النزول على عذاب أهل النار، جاء
 موضعاً في غير هذا الموضع كقوله في آخر هذه السورة الكريمة: {فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ
 وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ}، وقوله تعالى في آخر الكهف: {إِنَّا أَعْتَنَّا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا}،
 ونظير ذلك من كلام العرب قول أبي السعد الضبي:

١ - (٧/٧٨٠) (الواقعة/٤٧) .

٢ - وفيه عند القائلين بالمجاز استعارة تهكمية، وهي ما استعمل في ضد أو نقيض، وانظر

الإتقان (٣/١٤٠) .

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا *** جعلنا القنا والمرهفات له نزلاً [(١)] .

١٥٨ - كل شيء خلا من الناس يقال له أقوى.

[قوله تعالى {وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ} أي منفعة للنازلين بالقواء من الأرض، وهو الخلاء والفلاة التي ليس بها أحد... وكل شيء خلا من الناس يقال له أقوى، فالرجال إذا كان في الخلا قيل له: أقوى. والدار إذا خلت من أهلها قيل لها أقوت. ومنه قول نابغة ذبيان:

يا دار مية بالعلياء فالسند *** أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقول عنزة:

حيث من طلل تقادم عهده *** أقوى وأقفر بعد أم الهيثم [(٢)] .

١٥٩ - يقال: أتى فلان إذا أظل عليه العدو.

قال صاحب التتمة - رحمه الله - : [قوله تعالى: (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) أتى: تأتي بعدة معان، منها: بمعنى المجيء، ومنها بمعنى الإنذار، ومنها بمعنى المداهمة.

أما معنى الآية، فإن سياق القرآن يدل على أن مثل هذا السياق ليس من باب الصفات كما في قوله تعالى: (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ)، أي هدمه واقتلعه من قواعده، ونظيره: (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا)، وقوله: (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا)، وقوله: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في العَدْوَى: (أَنْتَى قَلْتَ أَنْتَيْتَ) (٣) أي دُهَيْتَ وَتَغَيَّرَ عَلَيْكَ حِسْكَ فَتَوَهَّمْتَ مَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ صَحِيحًا.

ويقال: أتى فلان بضم الهمزة وكسر التاء إذا أظل عليه العدو، ومنه قولهم: « من مأمنه يأتي الحذر »، فيكون قوله تعالى: (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) أخذهم ودهاهم وباغتهم من حيث لم يحتسبوا من قتل كعب بن الأشرف وحصارهم،

١ - (٧٨٣/٧ - ٧٨٤) (الواقعة/٥٦).

٢ - (٧٩٦/٧) (الواقعة/٧١: ٧٣).

٣ - لم أظف عليه.

وقذف الرعب في قلوبهم [١].

١٦٠- القول لا يتغير بل يحكي على ما قيل أولاً.

[إنهم اتفقوا على أن القول لا يتغير بل يحكي على ما قيل أولاً كقولهم:
الصيف ضيعت اللبن بكسر التاء خطاباً للمؤنثة.
فلو قيل لرجل أهمل وقت الإمكان ثم راح يطلبه بعد فواته، لقلت له: الصيف
ضيعت اللبن بكسر التاء على الحكاية.

وهذا مما يسمى الاستعارة التمثيلية من أبلغ الأساليب، وأكثر ما في القرآن
من أمثلة إنما هو من قبيل التشبيه التمثيلي، وهو تشبيه صورة بصورة، وهو من
أوضح أساليب البيان.] [٢].

١٦١- الغاشية تطلق على الخير كما تطلق على الشر، بمعنى الشمول والإحاطة
التامة.

[معلوم أن الغاشية تطلق على الخير كما تطلق على الشر، بمعنى الشمول
والإحاطة التامة. ومن إطلاقها على الخير ما جاء في الحديث: « ما جلس قوم
مجلساً يذكرون الله تعالى فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله
فيمين عنده » أخرجه مسلم [٣].

وبيان ذلك وتحقيقه في حق كلا القسمين كالآتي:

أما الأول منهما: وهو الغاشية في حق أهل النار فقد غشيتهم العذاب حساً
ومعنى ظاهراً وباطناً أو لا خشوع في نلته، وهي ناحية نفسية، وهي أثقل أحياناً من
الناحية المادية، فقد يختار بعض الناس الموت عنها، ثم مع الذلة العمل والنصب
حساً وبدناً، ومع النصب الشديد تصلى ناراً حامية، وكان يكفي تصلى ناراً. ولكن
إتباعها بوصفها حامية فهو زيادة في إبراز عذابهم وزيادة في غشيان العذاب لهم،
ثم يسقون من عين آنية متناهية في الحرارة فيكونون بين نار حامية من الخارج
وحميم من الداخل تصهر منه البطون، فهو أتم في الشمول للغاشية لهم من جميع

١- (٨ / ٣٢ : ٣٤) (الحشر / ٢).

٢- (٨ / ١٠٥ - ١٠٦) (الحشر / ٢١).

٣- أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٧٤) (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

الوجوه. وفي حق القسم المقابل تعميم كامل وسرور شامل كالآتي، وجوه ناعمة
مكتمة النعمة، تعرف في وجههم نضرة النعيم.

وهذا في شموله من الناحية المعنوية كمقابلة في القسم الأول بدلاً من خاشعة
في ذلة ناعمة في نضرة لسعيها راضية الذي سعته في الدنيا، والذي تسعى
لتحصيله أو ثوابه في جنة عالية بدلاً من عمل ونصب، لا تسمع فيها لاغية: منزلة
أدبية رفيعة حيث لا تسمع فيها كلمة لغو، ولا يليق بها، فهو إكرام لهم حتى في
الكلمة التي يسمعونها، كما في قوله: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا
سَلَامًا سَلَامًا}... [(١)].

١٦٢ - يطلق المحل، ويراد الحال (٢).

[{الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُئُورِ النَّاسِ} . اختلف في الطرف هنا، هل هو ظرف
للسواس حينما يوسوس، فيكون موجوداً في الصدر، ويوسوس للقلب، أو
هو ظرف للسوسة. ويكون المراد بالصدر القلوب، لكونها حالة في الصدر من
باب إطلاق المحل، وإرادة الحال على ما هو جار في الأساليب البلاغية. وعلى
حد قوله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَةً}، أطلق النادي، وأراد من يحل فيه من القوم (٣) .

١ - (١٩٨/٩) (الغاشية/٨: ١٦).

٢ - ونوع المجاز هنا عند القائلين به هو مجاز مرسل، وعلاقته محلية، وانظر الإتيان
(١١٤/٣)، أسرار البيان (ص/١٢٤).

٣ - قال الشنقيطي - رحمه الله - (٣٨٧/٤ - ٣٨٨) (مريم/٧٣ - ٧٤): [وقول الكفار الذي
حكاه الله عنهم في هذه الآية الكريمة {أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} الظاهر فيه أن وجه
نكرهم للمقام والندي: أن المقام هو محل السكنى الخاص لكل واحد منهم. والندي محل
اجتماع بعضهم ببعض...]

والمقامات: جمع مقامة بمعنى المقام. والأندية: جمع نادٍ بمعنى الندى وهو مجلس القوم،
ومنه قوله تعالى: {السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ} فالنادي والندي يطلقان على المجلس،
وعلى القوم الجالسين فيه. وكذلك المجلس يطلق على القوم الجالسين، ومن إطلاق الندي على
المكان قول الفرزدق:

وما قام منا قائم في ندينا *** فينطق إلا بالتي هي أعرفُ

[(١) .

وهذا آخر ما وقفت عليه من أساليب وإطلاقات عربية في تفسير أضواء
البيان للعلامة الشنقيطي - رحمه الله - .

والله - عز وجل - أسأل التوفيق، والقبول، والسداد. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أبو المنذر: محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي.

عفا الله - تعالى - عنه

وقوله تعالى هنا: {وَأَحْسَنُ نَدِيًّا}. ومن إطلاقه على القوم قوله: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ
الزَّبَانِيَةَ}. ومن إطلاق المجلس على القوم الجالسين فيه قول ذي الرمة:

لهم مجلس صهب السبال أدلة *** سواسية أحرارها وعبيدها].

وقال أيضاً (٧١٠/٥)(الحج/٤٥): [وقد دلت هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن أن لفظ
القرية: يطلق تارة على نفس الأبنية، وتارة على أهلها الساكنين بها، فالإهلاك في قوله:
{أَهْلَكُنَّاهَا}، والظلم في قوله: {وَهِيَ ظَالِمَةٌ}: يراد به أهلها الساكنون بها وقوله: {فَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا} يراد به الأبنية كما قال في آية: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} وقال في أخرى:
{حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا}. وقد بينا في رسالتنا المسماة منع جواز المجاز في
المنزل للتعب والإعجاز: أن ما يسميه البلاغيون مجاز النقص، ومجاز الزيادة، ليس بمجاز
حتى عند جمهور القائلين بالمجاز من الأصوليين، وأقمنا الدليل على ذلك].

وقال الثعالبي في سر العربية (ص/٣٤٦): [فصل في ذكر المكان والمراد به من فيه: العرب
تفعل ذلك قال الله تعالى: " وأسأل القرية التي كنا فيها " أي أهلها وكما قال جل جلاله: " وإلى
مدین آخاهم شعبياً " أي أهل مدین وكما قال حميد بن ثور :

فَصَائِدٌ تَسْتَحْلِي الرُّوَاهُ نَشِيدَهَا ... ويلهو بها من لاعب الحي سامرُ

يَعِضُّ عَلَيْهَا الشَّيْخُ إِهَامَ كَفِّهِ ... وتُجْزَى بها أحياءكم والمقابرُ

أي أهل المقابر .

والعرب تقول : أكلتُ قدرًا طيبة . أي أكلت ما فيها . وكذلك قول الخاصة : شربت كأسًا].

١- (٦٧٠/٩)(الناس/٥).

الفهرست

- المقدمة..... ٣
- المجاز ٥
- المطلب الأول: أهمية الموضوع وأسباب اختياره..... ٥
- المطلب الثاني: تعريف المجاز في الاصطلاح..... ٥
- المطلب الثالث: أقسام المجاز، وأمثله..... ٦
- المطلب الرابع: تاريخ نشوء القول بالمجاز..... ٧
- المبحث الأول: أقوال العلماء في المجاز..... ٨
- المبحث الثاني: الأدلة، والمناقشات، والراجح، ووجه ترجيحه..... ٩
- المبحث الثالث: هل للخلاف في المجاز ثمرة؟..... ١٧
- الأساليب العربية ٢٠
- ١- يسمى التقدير خلقاً..... ٢٧
- ٢- المفرد إذا كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مراداً به الجمع - مع تكثيره، أو تعريفه بالألف واللام أو بالإضافة -..... ٢٨
- ٣- عطف الشيء على نفسه، مع اختلاف اللفظ ؛ لأن تغاير اللفظين ربما نزل منزلة التغاير المعنوي..... ٣١
- ٤- كل ما علا الماء يسمى طافياً..... ٣٣
- ٥- الخيط الأبيض يطلق على الصبح، والأسود على الليل ٣٤
- ٦- ربما أطلقت العرب لفظ نعم على خصوص الإبل..... ٣٥
- ٧- إطلاق الخوف بمعنى العلم..... ٣٥
- ٨- إسلام الوجه يطلق ويراد به الإذعان والانقياد التام..... ٣٥
- ٩- عال يعول إذا جار ومال، وهو عائل ٣٦
- ١٠- يسمى النفخ روحاً ٣٧
- ١١- الخفض بالمجاورة..... ٣٧
- ١٢- يطلق المسح على الغسل..... ٤١
- ١٣- ربّما استُعملَ التحرير في الإخراج من الأسر والمشقّات، وتعب الدنيا ونحو

- ذلك. ٤١
- ١٤- إطلاق شيطان على المتمرّد. ٤١
- ١٥- يطلق المجموع مراداً بعضه. ٤٢
- ١٦- يطلق لا شيء على ما لا نفع فيه. ٤٢
- ١٧- القرابة إذا كانت قرابة نسب تعين التأنيث فيها، وإن كانت قرابة مسافة جاز
التذكير والتأنيث. ٤٣
- ١٨- يطلق اسم الفيء على الغنيمة. ٤٣
- ١٩- يطلق الحرف الواحد من الكلمة، ويراد به جميع الكلمة. ٤٤
- ٢٠- عادة العرب قولهم: لا أستطيع أن أسمع كذا، إذا كان شديد الكراهية، والبغض
له. ٤٥
- ٢١- الضلال يطلق بمعنى: الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وبمعنى:
الضلال بمعنى الهلاك والغيبة والاضمحلال، وبمعنى: الذهاب عن علم حقيقة الأمر
المطابقة للواقع. ٤٥
- ٢٢- يطلق الهم ويراد به المحبة والشهوة. ٤٧
- ٢٣- إذا كان المحكوم عليه غير موجود فيعلم منه انتفاء الحكم عليه بذلك الأمر
الموجودي. ٤٧
- ٢٤- " وراء " تطلق بمعنى: أمام. ٤٨
- ٢٥- الغلام يطلق على العبد، وعلى الصغير الذي لم يبلغ، وعلى الرجل البالغ،
وربما قالوا للأنثى غلامة. ٤٨
- ٢٦- صدعت الشيء: أظهرته. ٤٩
- ٢٧- يطلق اسم الشجر على كل ما تنبتّه الأرض من المرعى. ٤٩
- ٢٨- يقال: سامت المواشي، إذا رعت في المرعى الذي ينبتّه الله بالمطر. وأسامها
صاحبها: أي رعاها فيه. ٥٠
- ٢٩- يذكر وصف الأنثى باعتبار الشخص، وكذلك لا مانع من تأنيث صفة الذكر
باعتبار النسمة أو النفس. ٥٠
- ٣٠- الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع، وأنه إن أطلق على الواحد نكر، وإن

- أطلق على الجمع أنث. ٥٢
- ٣١ - يطلق الوصوب على الدوام. ٥٣
- ٣٢ - البشارة تطلق على الخبر مما يسر، وبما يسوء. ٥٣
- ٣٣- لفظة «جعل» تأتي لأربعة معان: اعتقد، صير، خلق، شرع. ٥٤
- ٣٤- رجوع الضمير إلى غير مذكور يدل عليه المقام. ٥٥
- ٣٥- تطلق المفاعلة بمعنى الفعل المجرد. ٥٦
- ٣٦- يطلق المصدر ويراد الاسم. ٥٦
- ٣٧- يطلق الإيحاء على الإعلام بالشيء في خفية. ولذا تطلقه العرب على الإشارة، وعلى الكتابة، وعلى الإلهام. ٥٧
- ٣٨- حذف الإرادة لدلالة المقام عليه. ٥٨
- ٣٩- يطلق اللسان ويراد به الكلام، فيؤنث، ويذكر. ٥٨
- ٤٠- يطلق الإذاعة على الذوق وعلى غيره من وجود الألم واللذة. ٥٩
- ٤١- يطلق اللباس على المعروف، ويطلق على غيره مما فيه معنى اللباس من الاشتمال. ٥٩
- ٤٢- الإتيان بحرف التعليل للدلالة على العلة الغائية، والإتيان باللام للدلالة على ترتب أمر على أمر، كترتب المعلول على علته الغائية. ٦١
- ٤٣- الفلاح يطلق على: الفوز بالمطلوب، وعلى: البقاء والدوام في النعيم. ٦١
- ٤٤- المشاكلة بين الألفاظ. ٦٢
- ٤٥- لفظ الرؤيا يطلق على رؤية العين يقظة - أي مع إطلاقها على رؤيا المنام - ٦٢
- ٤٦- حذف المضاف، إن دلت عليه قرينة ٦٣
- ٤٧- أمرته فعصاني. أي أمرته بالطاعة فعصى. ٦٤
- ٤٨- خطاب إنسان والمراد بالخطاب غيره. ٦٥
- ٤٩- أفراد الخطاب مع قصد التعميم. ٦٦
- ٥٠- إطلاق كل من اسما الفاعل واسم المفعول وإرادة الآخر. ٦٦
- ٥١- حذف النعت إن دلَّ عليه الدليل. ٦٧

- ٥٢- يطلق لفظة الصالحة على الفعلة الطيبة..... ٦٩
- ٥٣- تطلق لعل مضمنة معنى النهي..... ٦٨
- ٥٤- يطلق فعيل بمعنى مفعول ٦٩
- ٥٥- يطلق الأمد على الغاية..... ٧٠
- ٥٦- تطلق الآية في اللغة العربية بمعنى العلامة، وبمعنى الجماعة، وتطلق في القرآن على الآية الشرعية، والآية الكونية..... ٧٠
- ٥٧- يطلق الغد على المستقبل من الزمان ٧١
- ٥٨- التهديد بالصيغة التي ظاهرها التخيير ٧١
- ٥٩- الظلم وضع الشيء في غير محله..... ٧٢
- ٦٠- إغاثة الكفار بماء كالمهل مع أنه من أشد العذاب، وبيان إطلاقات المهل . . ٧٣
- ٦١- أصل الارتفاق هو الاتكاء على المرفق ٧٤
- ٦٢- يطلق الجن على الملائكة..... ٧٤
- ٦٣- يطلق باض وفرخ على سبيل المثل. ٧٥
- ٦٤- الظن يطلق على اليقين، وعلى الشك ٧٦
- ٦٥- تطلق الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء..... ٧٧
- ٦٦- الرجاء يستعمل في رجاء الخير، ويستعمل في الخوف أيضاً..... ٧٨
- ٦٧- يعبر عن انتشار بياض الشيب في الرأس، باشتعال الرأس شيباً..... ٧٨
- ٦٨- المولى: يطلق على كل من انعقد بينك وبينه سبب يواليك وتواليه به. ٧٩
- ٦٩- العاقر يطلق على الذكر والأنثى. ٧٩
- ٧٠- السمي يطلق بمعنى: مسمى باسمه. وبمعنى: المسامي، أي المماثل في السمو، والرفعة، والشرف، وهو فعيل بمعنى مفاعل ٨٠
- ٧١- يطلق الكلام على الإشارة..... ٨٠
- ٧٢- يطلق اسم الأخ على النظير المشابه، وعلى الصديق، والصاحب..... ٨١
- ٧٣- يطلق الغي على كل شر، والرشاد على كل خير. ٨١
- ٧٤- يعبر عن الدوام بالبكرة والعشي، والمساء والصباح. ٨١
- ٧٥- يعبر بنحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هناك قسم أصلاً..... ٨٢

- ٧٦- إطلاقات الأثاث. ٨٢
- ٧٧- حيث كلمة تدل على المكان، كما تدل حين على الزمان، ربما ضمنت معنى الشرط. ٨٣
- ٧٨- السحر يطلق على كل شيء خفي سببه، ولطف، ودق. ٨٣
- ٧٩- يعدى التصليب بـ « في » ٨٤
- ٨٠- إشباع الحركة بحرف مد يناسبها. ٨٤
- ٨١- السلوى يطلق على العسل. ٨٥
- ٨٢- زيادة لفظة «لا» لتوكيد الكلام وتقويته في الكلام الذي فيه معنى الجحد أغلب مع أن ذلك مسموع في غيره. ٨٥
- ٨٣- الهمس يطلق على الخفاء، فيشمل خفض الصوت وصوت الأقدام. ٨٧
- ٨٤- العرب تقول: خلق من كذا. يعنون بذلك المبالغة في الاتصاف. ٨٧
- ٨٥- يطلق اللبوس على كل ما يلبس. ٨٨
- ٨٦- ما ورد من وضع الحامل حملها، وشيب الولد، ونحو ذلك يوم القيامة، كناية عن شدة الهول ٨٨
- ٨٧- الهدى يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير، ويستعمل أيضاً في الدلالة على الشر. ٨٩
- ٨٨- يطلق على الأرض أنها اهتزت لاهتزاز ما بها من نبات. ٨٩
- ٨٩- إسناد جميع الأعمال إلى اليد ٩٠
- ٩٠- الإشارة إلى القريب إشارة البعيد. ٩٠
- ٩١- تزلزل اللام عن محلها الأصلي. ٩١
- ٩٢- اليد تطلق على العضو إلى المرفق، وإلى المنكب. ٩١
- ٩٣- تسمية الشيء باسم ما يحل فيه. ٩١
- ٩٤- يطلق الإحرام على الدخول في أي حرمة لا تهتك زمانية، أو مكانية، أو غير ذلك. ٩٣
- ٩٥- الأيام تطلق على ما يشمل الليالي. ٩٤
- ٩٦- السعي يطلق على العمل في الأمر لإفساده، وإصلاحه. ٩٤

- ٩٧- معاني الفتنة في القرآن. ٩٥
- ٩٨- يسمي انطواء القلب على الأمور الخبيثة: مرضاً. ٩٦
- ٩٩- تطلق القلة، ويراد بها العدم. ٩٦
- ١٠٠- يطلق النكاح على الوطاء. ٩٧
- ١٠١- إطلاق المسبب وإرادة سببه، وإطلاق السبب وإرادة المسبب. ٩٧
- ١٠٢- يطلق المحصنات على العفائف. ٩٨
- ١٠٣- يطلق الرمي على رمي الشخص لآخر بلسانه بالكلام القبيح. ٩٨
- ١٠٤- يطلق على سليمان الصدور، نفثات القلوب، اسم البله مدحاً لا ذماً. ٩٩
- ١٠٥- يطلق النشور على الإحياء بعد الموت، وعلى الحياة بعد الموت. ١٠٠
- ١٠٦- يأتي الفاعل بمعنى المفعول. ١٠١
- ١٠٧- تستعمل جاء وأتى بمعنى: فعل. ١٠١
- ١٠٨- أفكه بمعنى قلبه. ١٠١
- ١٠٩- إذا أرادوا تخصيص شيء بالفضيلة، دون غيره جاؤوا بصيغة التفضيل، يريدون بها خصوص ذلك الشيء بالفضل. ١٠٢
- ١١٠- بورا، اسم مصدر يقع على الجماعة، وعلى الواحد. ١٠٣
- ١١١- رجوع الإشارة، أو الضمير بالإفراد مع رجوعهما إلى متعدّد باعتبار المذكور. ١٠٣
- ١١٢- يطلق الموت على النوم. ١٠٤
- ١١٣- تطلق مرج بمعنى: أرسل وخلق، وبمعنى: خلط. ١٠٤
- ١١٤- عود الضمير إلى اللفظ وحده، دون المعنى. ١٠٥
- ١١٥- بات الرجل يبيت، إذا أدركه الليل، نام أو لم ينم. ١٠٥
- ١١٦- كل صوت غير عربيّ تسميه العرب أعجم، ولو من غير عاقل. ١٠٥
- ١١٧- الجناح يطلق لغة حقيقة على يد الإنسان وعضده وإبطه. ١٠٦
- ١١٨- تطلق العرب خفض الجناح كناية عن التواضع، ولين الجانب. ١٠٦
- ١١٩- إسناد صفات الذات لبعض أجزائها. ١٠٦
- ١٢٠- يضاف الموصوف إلى صفته. ١٠٦

- ١٢١- حذف المنادى مع ذكر أداة النداء..... ١٠٧
- ١٢٢- يحذف الأول لدلالة الثاني عليه..... ١٠٩
- ١٢٣- زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل..... ١١٠
- ١٢٤- الإتيان بأداة الترتيب لمجرد الترتيب الذكرى فقط، دون إرادة ترتيب الصفات أو الموصوفات ١١٠
- ١٢٥- من للعالم..... ١١١
- ١٢٦- يطلق اللازب واللاتب واللازم، بمعنى واحد..... ١١١
- ١٢٧- الذي تأتي بمعنى الذين ١١٢
- ١٢٨- يقال حاق به المكروه يحيق به حيقاً وحيوقاً، إذا نزل به وأحاط به، ولا يطلق إلا على إحاطة المكروه خاصة ١١٣
- ١٢٩- النعت بالمصدر..... ١١٣
- ١٣٠- يطلق الجزء مراداً به البنات..... ١١٣
- ١٣١- إن كان بمعنى ما كان ١١٤
- ١٣٢- يطلق الفعيل وصفاً بمعنى المفعل..... ١١٥
- ١٣٣- يطلق المثل، على الذات نفسها..... ١١٦
- ١٣٤- يعرضون على النار: معناه يباشرون حرها كقول العرب: عرضهم على السيف إذا قتلهم به..... ١١٦
- ١٣٥- قلب الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً..... ١١٦
- ١٣٦- يسند الفعل إلى ما هو له أصالة لملايسته له..... ١١٨
- ١٣٧- الفعال يأتي كثيراً، بمعنى التفعيل..... ١١٨
- ١٣٨- لفظة "اليدين" التي أضيفت إليها لفظة "بين" يكون المراد: " أمامه " ١١٩
- ١٣٩- تطلق الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة بعضها على بعض ١٢٠
- ١٤٠- شدة الخلق تسمى حبكاً..... ١٢٠
- ١٤١- تطلق السماء على كل ما علاك..... ١٢٠
- ١٤٢- يطلق اسم الذنوب، التي هي الدلو، على النصيب..... ١٢١

- ١٤٣- التنازع يطلق على كل تعاط وتناول. ١٢٢
- ١٤٤- لا تكاد العرب تطلق الكأس إلا على الإناء المملوء. ١٢٢
- ١٤٥- يطلق السموم على الريح الشديدة البرد. ١٢٣
- ١٤٦- لن يحور، بمعنى لن يرجع. ١٢٣
- ١٤٧- يطلق المنون على الموت. ١٢٤
- ١٤٨- لا تكاد العرب تطلق لفظ النجم مجرداً إلا على الثريا. ١٢٤
- ١٤٩- أمني الرجل ومني إذا أراقمني وصبه. ١٢٤
- ١٥٠- منى الماني إذا قدر. ١٢٥
- ١٥١- تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله، وعاطاه إذا تناوله. ١٢٥
- ١٥٢- يطلق العقر على القتل والنحر والجرح. ١٢٦
- ١٥٣- يطلق كان بمعنى صار. ١٢٦
- ١٥٤- كل نسج أحكم ودوخل بعضه في بعض، تسمية العرب وضنا، وتسمى المنسوج به موضوعنا ووضعنا. ١٢٦
- ١٥٥- تسمى المرأة لباساً وإزاراً وفرشاً ونعللاً. ١٢٧
- ١٥٦- تأتي أو بمعنى الواو. ١٢٧
- ١٥٧- يطلق النزول على عذاب أهل النار على سبيل التهكم والاحتقار. ١٢٨
- ١٥٨- كل شيء خلا من الناس يقال له أقوى. ١٢٩
- ١٥٩- يقال: أتى فلان إذا أظلم عليه العدو. ١٢٩
- ١٦٠- القول لا يتغير بل يحكي على ما قيل أولاً. ١٣٠
- ١٦١- الغاشية تطلق على الخير كما تطلق على الشر، بمعنى الشمول والإحاطة التامة. ١٣٠
- ١٦٢- يطلق المحل، ويراد الحال. ١٣١
- الفهرست ١٣٤